ميثاق الرابطة

لسان رابطة علماء المغرب

أسبوعية جامعة تصدر كل جمعة - الثمن : 3 دراهم

السنة 37 - العدد 1040 - الجمعة 5 رمضان 1424 هـ - الموافق 31 أكتوبر 2003

صدق الله العظيم

ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن

ذكرى تحويل القبلة

جاءكم المطهر

يتأهب العالم الإسلامي قاطبة لاستقبال شهر رمضان المبارك بما هو جدير به من الحفاوة والتكريم والتقرب إلى الباري تعالى بصالح الأعمال فطوبى لمن صام أيامه وقام لياليه وكان من الفائزين.

ونحن مقبلون على هذا الشهر الكريم فمن حقنا أن نتساءل عن الكيفية التي نستقبل بها هذاالظرف الزمني العظيم بحيث ليس المقصود بالصيام أن يترك الإنسان طعامه وشرابه بل أن الصيام أعمق من ذلك، جاء في الحديث النبوي الشريف: 'من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه' أخرجه أبو داود والترمذي.

قال أبو بكر بن العربي: 'مقتضى هذا الحديث أن من فعل ما ذكر لا يثاب على صيامه'.

وقال البيضاوي: 'ليس المقصود من شرعية الصيام نفس الجوع والعطش بل ما يتبعه من كسر الشهوات وتطويع النفس الأمارة للنفس المطمئنة فإذا لم يحصل ذلك لم ينظر الله إليه نظرة القبول'.

فضيلة الشيخ ماء العينين لارباس
النائب الأول للأمين العام لرابطة علماء المغرب

(تابع ص. 2)

حقيقة الصيام

رمضان شهر الخير

رسالة المولى إدريس الأكبر لأهل المغرب

رسالة المولى ادريس الأكبر إلى أهل المغرب

مؤرخ المملكة والصحوة التوثيقية المبكرة

الفقه المالكي تأصيله وتلقينه

مسؤولية الآباء في التوجيه الإيماني للأبناء
مساهمة الملائكة في تعليم الدين

في العدد السابق من هذه الوقفة الدراسية تحت ظلال الآية القرآنية: 'والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان' وبإشراقات روحانية من خلال حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم كما رواه عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما والمتعلق بالتعريف بالإيمان والإسلام والإحسان وعلامات الساعة نقف قليلا مع الفقرة الأخيرة في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبعد انصراف الرجل السائل (سيدنا جبريل) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للصحابة انظروا في أي اتجاه ذهب فلما وقف بعضهم لم ير أثرا للسائل، ثم توجه النبي عليه الصلاة والسلام إلى سيدنا عمر بن الخطاب قائلا له: يا عمر، أتدري من السائل؟فأجاب عمر رضي الله عنه: الله ورسوله أعلم، فقال صلى الله عليه وسلم 'إنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم' بهذا المنهج الإسلامي السامي في مخطط التعليم الديني، منهج الحوار، والسؤال والجواب، ومساهمة الملائكة في برمجة الدرس التعليمي في الدين يفتح الإسلام صفحة خاصة به يخطط بها للمسلمين كيف يتم التعريف بالدين، وكيف ينطلقون إلى مواضع الإيمان ومنابع الإسلام ومناطق الإحسان.

قال القاضي عياض رحمه الله:'هذا الحديث قد اشتمل على شرح جميع وظائف العبادات الظاهرة والباطنة من عقود الإيمان وأعمال الجوارح، وإخلاص السرائر والتحفظ من آفات الأعمال، حتى إن علوم الشريعة كلها راجعة إليه ومتشعبة منه'

وقد روى الحديث عدد من الصحابة بعضهم قدم السؤال عن الإسلام ثم الإيمان والإحسان، وبعضهم قدم السؤال عن الإيمان ثم الإسلام والإحسان. والبعض الآخر جعل السؤال عن الإيمان هو الاخير، وهذه الروايات كلها تعبر عن اهتمام الصحابة الذين حضروا الحوار أو بلغ إليهم عن معرفة شؤون الدين في خريطته العامة:إيمان وإسلام وإحسان.

وقال الامام النووي رحمه الله تعليقا على الجزء الأخير من الحديث المتعلق بالإحسان 'وهذا القدر من الحديث أصل عظيم من أصول الدين وقاعدة مهمة من قواعد المسلمين، وهو عمدة الصديقين، وبغية السالكين وكنز العارفين، ودأب الصالحين، وهو من جوامع الكلم التي أوتيها صلى الله عليه وسلم، وقد ندب أهل التحقيق إلى مجالسة الصالحين، ليكون ذلك مانعا من التلبيس بشيء من النقائص احتراما لهم، واستحياء منهم، فكيف بمن لايزال الله مطلعا عليه في سره وعلانيته'

وتعجب الصحابة من أسلوب الحوار ويدل على ذلك مارواه سليمان بن بريدة قال: 'قال القوم مارأينا رجلا مثل هذا، كأنه يعلم - يعرف - رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له: صدقت، صدقت، لأنه يسأل سؤال عارف بما يسأل عنه، لأنه يخبره بأنه صادق فيه.

ويدل الحديث على أن السؤال الحسن يسمى علما، وقد اشتهر عند العلماء أن السؤال الحسن يكون نصف العلم، وتم العلم بالدين عن طريق السؤال والجواب وتحققت بذلك الفائدة المتعددة، قال القرطبي، هذا الحديث يصلح أن يقال له أم السنة، لما تضمنه من جمل على السنة، وقد افتتح البغوي كتابيه: 'المصابيح' و'شرح السنة' بشرح حديث الإيمان والإسلام والإحسان اعتبارا لما يحمله من علوم الدين، وجعله، في مرتبة الفاتحة من القرآن لما تضمنته من علوم القرآن إجمالا.

وتوقف بعض العلماء وشراح الحديث والمؤرخين للأحداث الهامة عن الزمن الذي وقع فيه هذا الحوار، ورجحوا أنه وقع بعد فرض أركان الدين وبعد حجة الوداع التي قام بها رسول الله صلى الله عليه وسلم في السنة الأخيرة من عمره صلى الله عليه وسلم بدليل أن الحديث تعرض لمجمل أحكام الدين أو لجميعها، وقد تم تبليغها متفرقة حسب أسباب النزول، ثم جمعها في مجلس واحد لتنضبط وتم ذلك بتدخل سيدنا جبريل عليه السلام بأمر من الله عز وجل، لتكون شهادة بتمام الدين جمعت بين الأرض والسماء، ويرى بعض الرواة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات بعد هذه الجلسة العلمية بثلاثة أشهر، وكأنها تشير إلى تمام الرسالة بعد تبليغ جميع أركان الدين.

ونستنتج من الحديث أن موقع الإيمان في حياة المسلم يكون العمود الرئيسي في الثقافة الحديثة، لأنه يرتبط بالعقيدة، التي عند انفتاحها في طريق الله وقيامها على اليقين تفتح جميع المسالك فينشرح الصدر للقيام ببقية الأركان وينطلق الفؤاد في عبادته لله كأنه يراه.

وهذا التصور الإيماني هو جزء مما تشير إليه الآية الكريمة، "والذين آمنوا واتبعتم ذريتهم بإيمان"

وإلى بقية الحديث في العدد المقبل إن شاء الله.

الأستاذ أحمد أفزاز

النائب الثاني للأمين العام - رئيس غرفة بالمجلس الأعلى شرفي

تحتوي هذه الصحيفة على آيات قرآنية وأحاديث نبوية، المرجو صيانتها عن أي امتهان.

نماذج من الرعيل الأول لعلماء القرويين

■ في هذه الحلقة نترجم لمحدث ضليع، وصوفي شهير وهو أبو الحسين بن الصائغ يحيى بن محمد بن علي بن يوسف بن خلف بن يحيى الأنصاري. سبتي أصيل، من كبار علماء سبتة في النصف الثاني من القرن السادس، وبداية السابع، له مشيخة جليلة، حيث أخذ عن كبار علماء عصره، وله عدة تلاميذ في سبتة وفاس، رحالة جوال كثير الأسفار، لقي كبار مشايخ العلم بالأندلس والمغرب والمشرق، جماعة للعلوم، معتز بعلمه ذو شخصية قوية، شديد المراس، قوال للحق، لايخاف في الله لومة لائم، انتفع الناس بجراته وصلابته وبإقدامه على الأمراء لقضاء مصالح الناس...

وعن مترجمنا هذا يقول ابن عبد الملك بالذيل والتكملة: "وكان راوية للحديث شديد العناية بلقاء المشايخ والأخذ عنهم، عارفا بالقراءات مجودا للقرآن، حسن التأدية له، صادق الزهد والورع، بارا بطلبة العلم صليبا في الحق، مصمما عليه، كثير التقشف، متقللا من الدنيا، لايتلبس إلا بأقل مايمكن من مطعم وملبس ومسكن..."فالرجل يجمع بين رواية الحديث والتضلع فيه، والأخذ عن مشايخه، وإلى ذلك، ملم بعلم القراءات والتجويد، وعلى خلق كريم، يبر بطلبة العلم، صلبا في الحق، لايهتم بمباهج الدنيا، ومتعها يميل إلى الزهد والورع... هذه أوصاف عالم جليل له مكانة متميزة، بين شيوخه وطلابه.

ونقل ابن عبد الملك أيضا عن الشيخ أبي عبد الله بن مجبر، أنه قال في حقه: "كان مصمما في الحق، لاتجري لأحد مظلمة إلا كشفها... وحكى حكاية تدل على أنه اتخذ من نفسه مدافعا عن المظلومين، وملخص هذه الحكاية أن أمير سبتة أبا العلاء وهو من حفدة عبد المومن ابن علي الخليفة الأول للموحدين كان هذا الأمير من أشهر أمراء الدولة الموحدية في هذا العهد، وكان معروفا بشدة البأس والصرامة، غضب هذا الأمير يوما على أهل سبتة فأمر أن يجتمع الناس خارج أسوار المدينة في فضاء متسع، ووضعت له منصة عالية ينظر منها إلى الحشود المجتمعة من مختلف طبقات أهل سبتة من رفيع، ووضيع... وأخذ ينظر إليهم في يوم شديد الحرارة، ولم يكلمهم، ولا أذن لهم في الانصراف، وعلم بذلك مترجمنا أبو الحسن ابن الصائغ، فجاء حتى قرب من منصة الأمير، ثم ناداه بصوت جهير، وبلهجة غضب قائلا: انصب صراطك، وضع موازينك. إشارة إلى حشر العباد أمام ربهم يوم القيامة في انتظار الحساب. ثم التفت إلى الناس وقال لهم: انصرفوا من هنا، فأخذ الناس في الانصراف حتى انصرفوا جميعا استجابة لنداء الشيخ، وليقينهم بمكانته عند الله، ونزل الأمير من منصته واختلط بالناس، وكأن شيئا لم يكن، تقديرا منه لمكانة الشيخ العلمية، واحتراما لتدخله، فكان عمله هذا سببا في تفريج كربة هذا الجمع الحاشد.

وذكر مترجموه أنه قلما انكشف عن أهل سبتة بلية إلاعلى يده، وذكروا أنه لما سيق أهل منرقة وهم مئون إلى سبتة، وأخليت لهم فنادق، وسدت أبوابها دون الناس، وتركوا يموتون جوعا، فاسغاث الناس بأبي الحسين ابن الصائغ وقالوا جماعة من المسلمين بين أظهرنا يموتون جوعا انظر في أمرهم يافقيه، فخرج إلى البحر في أوحش هيئة، وساعده البحارة في ركوب زورق، وقصد بليونش، وبها كان أمير سبتة حينئذ فأحسن لقاءه، وعاد من عنده في الحال بصلة من الأمير للأسرى، وأمر له بأن تفتح أبواب الشاق إلى الناس ليدخلوا إليهم ويواسونهم بما شاءوا..."!

لقد كان علماؤنا رحمهم الله ألسنة الشعب، والمدافعين عن المظلومين، والساهرين على حقوق الإنسان كما نص عليها الإسلام، ولذا كان الناس يلجأون إليهم في الأزمات، وعند ماتتعقد الأمور، ويرتكب الظلم، فيجدون فيهم المدافع المخلص الأمين الذي يبتغي بعمله وجه الله.

وماذكر من مواقف أبي الحسين بن الصائغ له أمثلة كثيرة تبرز الدور الذي كان يقوم به علماء الشريعة في حراسة حقوق الإنسان، ورد المظالم عن المظلومين، حفاظا على التوازن بين العدل والإحسان، وبين الحق والقانون والحفاظ على كرامة الإنسان.

ونقل ابن عبد الملك عن أبي محمد بن عبد المومن الشريشي شارح المقامات، أن مترجمنا كان متزوجا من فاس وكانت زوجه تقيم بها، وهو يتردد بين سبتة وفاس، وبها لقيه ابن عبد المومن الشريشي المذكور، وطلب منه الإجازة هو وجماعة من الطلاب فأجازهم، وقابلهم بكل بشر، وقدم لهم قرى الضيف وفي اليوم الثالث كتب لهم الإجازة، ويبدو أنه اختبرهم قبل كتابتها، ويؤكد ابن الزبير بصلة الصلة أنه كان كثير التردد على فاس.

والشيخ أبو الحسين بن الصائغ أخذ عن كبار علماء الفقه والحديث واتصل بكبار شيوخ الصوفية، ومنهم الشيخ أبو يعزى الذي كان يتردد عليه، وعن إحدى زياراته له يقول ابن أخته إنه سمعه يقول: "كنت عند الشيخ الصالح أبي يعزى مرة مع الحاج الصالح أبي محمد بن عاصم، وكان إذا أدخلنا بيته أجلسني والحاج على سرير، وأخذ في إطعام من حضر من الوفود والزوار، فقلت للحاج: هذا طعام غليظ، ونحن لانحتمله، فقال لي فما الذي يصلح؟قلت: رغيفات قمح بسمن وعسل، ثم حضر الطعام، وحلق الحاضرون حلقا، فأردنا النزول لنتحلق مع الناس، ونشاركهم فيما أكلوه، فأشار إلينا. أي الشيخ أبو يعزى. أن مكانكم، ثم أتانا برغيف وسمن وعسل، وقال لنا كلوا ما اشتهيتم.

وعند ابن الزيات في التشوف حكايات عن مترجمنا، وقد ترجم له ترجمة صغيرة، لكنه تحدث عنه في تراجم أخرى أثنى فيها بحكايات، وفي رسالة القدس، يقول عنه الشيخ ابن عربي الحاتمي: "من الأعجوبة محدث صوفي، فهو كبريت أحمر".

توفي رحمه الله بمدينة سبتة يوم السبت لثمان بقين من شعبان سنة ستمائة، وكان يوم دفنه يوما مشهودا، وسارت جموع كثيرة من الناس في جنازته.

وذكر مؤلف اختصار الأخبار أن "قبر الشيخ الولي الزاهد السائح في الأرض المشهور الحاج أبي الحسين بن الصائغ يقع بمقبرة الربض البراني داخل سور البحر من الموضع المعروف بمضرب الشبكة".

وفي ترجمة سابقة ذكرت أن كثيرا من علماء سبتة كانوا يرحلون إلى فاس، ويلقون بها دروسهم، بجامع القرويين وبغيره من المساجد.

رحم الله شيخنا رحمة واسعة، وإلى حلقة أخرى بحول الله.

ومن أهم مصادر ترجمته:

الذيل والتكملة لابن عبد المالك المراكشي القسم الثاني:413.

والتكملة لابن الأبار، وصلة الصلة لابن الزبير.

والتشوف إلى رجال التصوف للتادلي، واختصار الأخبار عما كان بسبتة من سني الآثار للأنصاري، ورسالة القدس لابن عربي الحاتمي

■ إعداد الأستاذ: عبد القادر العافية

(تتمة ص:1)

فمن شروط صحة الصيام أن يكبح الصائم جوارحه بحيث يغض الطرف عن محارم الله تعالى ويصم أذنيه عما ما لا يحل سماعه من اللفظ البذيء ويمسك لسانه عن التلفظ بالكلام النابي وقول الزور ويقاس على ذلك بقية جوارحه.

جاء في الحديث أن رسول الله(ﷺ) قال: "الصيام جنة فلا يرفث ولا يجهل وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل إني صائم" رواه البخاري.

فصحة الصيام تقتضي من الصائم أن يتحمل ما يلقى ويصبر على الأذى حتى ينال أجر الصيام وإلا فليس له من صومه إلا الجوع والعطش مصداقا لقوله(ﷺ): "رب صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش" فعلى الإنسان أن لا يخدش صومه بأي قول أو فعل ينافي الصيام وأن يكثر من فعل الطاعات كالصدقة والاستغفار وتلاوة القرآن امتثالا لسنة الرسول صلى الله عليه وسلم الذي كان أجود ما يكون في رمضان.

وصوم الجوارح والإكثار من أعمال البر واجب على المسلم في رمضان وفي غيره ولكن الأعمال تتفاضل حسب المكان والزمان ولهذا وجب الاجتهاد بما سنه الرسول(ﷺ) في هذا الشهر الكريم من فعل المبرات وإقام الصلاة والإكثار من المكرمات.

أخرج ابن خزيمة في صحيحه والبيهقي في سننه من حديث سلمان(رضي الله عنه) قال: "خطبنا رسول الله(ﷺ) في أول يوم من رمضان فقال: أيها الناس قد أظلكم شهر مبارك عظيم شهر فيه ليلة خير من ألف شهر، شهر جعل الله صيامه فريضة وقيام ليله تطوعا من تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه ومن أدى فريضة فيه كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه وهو شهر الصبر والصبر ثوابه الجنة وهو شهر المواساة وشهر يزاد في رزق المؤمن فيه من فطر فيه صائما كان مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء قالوا يا رسول الله ليس كلنا يجد ما يفطر به صائما فقال: يعطي الله الثواب من فطر صائما على تمرة أو على شربة ماء أو على مذقة لبن، وهو شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار من خفف على مملوكه فيه غفر الله له وأعتقه من النار واستكثروا فيه من أربع خصال خصلتين ترضون بهما ربكم وخصلتين لا غناء بكم عنهما فأما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم فشهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وتستغفرونه لذنوبكم وأما الخصلتان لا غناء بكم عنهما فتسألون الله جنة وتعوذون به من النار ومن سقى صائما سقاه الله من حوضي شربه لا يظمأ بعدها حتى يدخل الجنة".

وشهر رمضان شهر الجهاد الأكبر يتعلم فيه الإنسان مجاهدة النفس ومقاومة الهوى والابتعاد عن الشهوات والإمساك عن الهفوات والتشبث بما يقربه إلى الله عز وجل صابرا على الطاعة صابرا عن المعصية محتسبا الأجر على الله وفي هذا تعلم لابد للإنسان أن يستفي من خلاله من نية إرضاخه النفس الأمارة بالسوء للنفس المطمئنة وذلك بالتوبة عن كل ما يشوب العبادة والسعي إلى ما يزيد التقرب من الله عز وجل فهو شهر توبة لمن أتى الله بقلب سليم فصام رمضان إيمانا واحتسابا وقام ليله امتثالا لسنة النبي(ﷺ) وسعيا للوصول إلى ما ورد في الحديث القدسي: "ما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه..." الحديث.

فإن استمر الإنسان خلال رمضان على الطاعة واستمر بعده على حسن العبادة متشبثا بتوبته فإنه لاشك سيدخل مع المؤمنين التائبين الفرحين بما أجزله الله تبارك وتعالى لعباده المخلصين في قول الرسول(ﷺ): "قال الله كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به والصيام جنة فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني صائم والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك للصائم فرحتان يفرحهما إذا أفطر فرح وإذا لقي ربه فرح بصومه" أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة.

فالبدار أيها الإخوة المؤمنون إلى الفرحة الدائمة بإخلاص النية وسلامة الصوم والثبات على التوبة والتزود من الدنيا للآخرة وتهيئوا واستعدوا فقد جاءكم المطهر.

بقلم الشيخ لارياس ماء العينين
النائب الأول للأمين العام لرابطة علماء المغرب

الاستثناء في كلمة الشهادة

للشيخ سيدي أحمد بن عبد العزيز السجلماسي

الحمد لله وصلاته وسلامه على رسول الله وآله وصحبه ومن تلاه، وبعد:

فقد سئلت عن الاستثناء في كلمة الشهادة أهو متصل أم منفصل أم قابل للأمرين باعتبارين أم خارج عن الاحتمالين لما يرد من المحذور على كلا الوجهين أم محتمل لأربعة أوجه صالح

لصادقية كل منها عليه كما طرق ذلك الشيخ يحيى الشاوي في حواشي شرح الصغرى وبين وجه كل منها واستحسنه فأجبت والله تعالى أستعين.

2/3

■ الأستاذ : إدريس كـــرم

تنبيهان:

التنبيه الأول: علم مما تقدم أن المستثنى المنفصل نوعان، نوع يكون مخالفا للمستثنى منه المذكور قبل إلا نحو، ما لهم به من علم إلا اتباع الظن، ونحو، إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك، إذا لحظ في الإضافة الإخلاص، ونحو لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما إلا قليلا سلاما سلاما، ونحو فإنهم عدو لي إلا رب العالمين وقوله.

وبلدة ليس بها أنيس
إلا اليعافير وإلا العيس

وقوله:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ××× بهن فلول من قراع الكتائب ونوع يكون مخالفا له فيه نحو، ليلا يكون الاية، ونحو إني لا يخاف لدي المرسلون، الأية وهذا النوع لا يعرفه كثير من الناس، حتى قال بعضهم، كما في تفسير الجلالين في: إلا الموتة الأولى، إنها بمعنى بعد، ولا حاجة إلى ذلك.

■■■■

وممن نبه عليه من النحويين الإمام أبو حيان، قال في الإرتشاف والمنقطع ما لم يكن بعضه، أو كان بعضه، إلا أن العامل غير متوجه إليه، انتهى.

ونحوه في شرح التسهيل للمرابط، وممن نبه عليه من من الأصوليين الإمام القرافي وهو في القرآن كثير، ومنه وما كان لمومن أن يقتل مومنا إلا خطأ، لست عليهم بمصيطر، إلا من تولى وكفر، لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم ، في أحد الأوجه، ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء إلا ما قد سلف، ومنه قول الشاعر:

فتى كملت أخلاقه غير أنه
جواد فما يبقى من المال باقيا

ومن الأمثلة: إن لفلان مالا، إلا أنه شقي، وبهذا تعلم أن ما دل عليه كلام غير واحد من أن الاستثناء ولو منفصل، لابد فيه من مخالفة ما بعد الأداة لما قبلها، ليس المراد خصوص المخالفة في الحكم الذي قبل الأداة كما قد يتوهم، بل المراد به مطلق المخالفة الصادق بالمخالفة فيما قبل الأداة كما في النوع الأول، وبالمخالفة في غيره كما في النوع الثاني.

التنبيه الثاني: المستثنى المنفصل يكون مفردا وهو ظاهر، ويكون جملة، وجعل منه ابن خروف، الا من تولى وكفر، على أن من مبتدا، وما بعد الفاء خبره، وتكون الجملة حينئذ في محل نصب كما في المغني، وشرحي التسهيل للمرادي والدماميني.

ومنه ما نقل سيبويه عن الغرب، والله لأفعلن كذا وكذا إلا حلُّ ذلك ان أفعل كذا وكذا انتهى، فحل مبتدل وأن أفعل خيره ، والإستثناء منقطع أي لكن كفارة ذلك القسم إن حنث فيه أن أفعل كذا وكذا.

وزعم بعض النحويين أنه لا يكون إلا جملة، وتأول ما جاء مفردا وهو مردود، ويتفرع على صحة حلول الجملة محل المستثنى المنقطع صحة كسر همزة إن الواقعة موقعه، ولم أر من حقق حكم الهمزة بعد إلا، فعن لي أن أحصل ما لذي من ذلك وإن كان خارجا عن الموضوع لأني رأيت بعض الناس غلطوا فيه فأقول:

تحقيق حكم العمزة بعد إلا

الإستثناء ينقسم إلى متصل مفرَّغ وتامٍ وإلى منفصل حكم همزة إن بعد إلاّ فيه حكمها عند عدم إلا، فيجب فتحها في نحو وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم، إلا أنهم كفروا بالله، لأنه في محل رفع على الفاعلية، ومنه ما أعجبني منه إلا أنه يقرأ القرآن، خلافا لما في التصريح، ويجب كسرها في نحو ما قلت إلا أن زيدا قائم لأنها محكية، ونحو إلا أنهم لياكلون الطعام لأنها في محل حال، ويجوز الأمران في نحو ما حلفت إلا أن زيدا قائم، وما خير القول إلا أني أحمد الله.

والمتصل التام يجب فتحها فيه إن لم تكن بدلا نحو أعجبتني أحواله، إلا أنه فيه حدة، أو كانت بدلا، والعامل غير قول نحو ما أعجبني منه شيء إلا أنه يقرأ القرآن، ويجب كسرها إن كان قولا، نحو ما قلت شيئا إلا أن زيدا قائم، والمنفصل يصح فيه الأمران بصحة تقدير المفرد، والجملة بعد الأداة نحو، المرء مجزي بعمله إلا أن عفو الله واسع، يصح الكسر إذ المعنى لكن عفو الله واسع، والفتح لصحة حلول المفرد محلها، أي إلا سعة عفو الله كما قال تعالى، إلا رحمة منا ومتاعا إلى حين، في بعض الأعاريب والله تعالى أعلم.

■■■■

فحافظ على ما سمعت هنا من ضابط المتصل والمنفصل، واعرف ضرره فإن كثيرا من الناس لا يحققون لفظ هذا التحقيق والله سبحانه وتعالى ولي التوفيق.

وأما المقدمة الثانية فهي أن الكلي حسبما شاع في فن المنطق شيوعا لا يحتاج معه إلى استظهار هو المفهوم الذي لا يمنع مجردُ تصوُّره من صدقه على متعدد، ولا يشترط وجود شيء من أفراده خارجا فضلا عن وجودها وعن تعددها، فيصدق بما أفراده مستحيلة، كالشريك وجمع الضدين، وبما افراده معدومة ممكنة كالعنقاء إن صح أنها لم توجد، وبما وُجد منه فردٌ واحد استحال غيره، ومن هذا القسم الا له حسبما أوضحه السعد في المطول، وابن عرفة في التفسير، وغيرهما، كالسنوسي، وبما وجد منه فرد واحد، ولم يستحل غيره، كالشمس، وبما وجدت منه أفرادا كالإنسان والحركة.

■■■■

والحاصل كما في حاشية السيد علي القطب، أن المعتبر في الكلية، وكذا في الجزئية، حال المفهومات في العقل لا حال المفهومات في أنفسها، فما لا يمتنع نفي حصوله في العقل من فرض صدقه على متعدد كلي وإن كان في نفسه، لا يقبل التعدد خارجا لقيام البرهان على ذلك.

ثم إن كل فرد من أفراد الكلي التي لا يمنع نفي تصوره من صدقه عليها هو بعض من جميع تلك الأفراد بالضرورة، فمتى حكم على جميع الأفراد إيجابا وسلبا، أو نسب إلى جميع تلك الأفراد أمرٌ، ثم أخرج من تلك الأفراد بعضها بأداة الاستثناء، فهو متصل لتحقق البعضية له والإخراج، الذيْن هما ضابط الاتصال على ما سلف إيضاحه، ولا فرق في ذلك بين كون الأفراد موجودة وبين كونها معدومة، أو بعضها موجودا وبعضها معدوما.

وإذ قد تمهدت المقدمتان فنقول:

■■■■

الإستثناء في قولنا لا إله إلا الله متصل قطعا، وبقية الإحتمالات التي في السؤال باطلة قطعا، أما بيان اتصاله فلأن البعضية والإخراج الذين بهما يتحقق الاتصال، متحققان دليل البعضية أن الإلاه في الكلمة المشرفة كل حسبما مر، ولذلك صح دخول لا النافية للجنس عليه، ومعناه فيها المعبود بحق كما في المطول الغلبة استعماله في المعبود بحق كما ذكره السعد في حاشية الكشاف، وإن كان أصل وضعه لمطلق المعبود على ما في القاموس وغيره.

■■■■

ولا يخفى أن مفهوم المعبود بحق كلي، وإن الله عَلَمٌ على الفرد الحق، الذي انحصر فيه ذلك الكلي خارجا، وقام البرهان على استحالة ما سواه من أفراد ذلك الكلي، ومن الضروري أن الفرد الواحد بعض من جملة الأفراد، ودليل الإخراج أن الأداة موضوعة لذلك كما صرح به الأيمة، وأنه لو لم يخرج من الأفراد التي نفي وجودها على سبيل الإستغراق مع شمول اللفظ له لكان منفيا في جملة الأفراد، ولكانت الكلمة المشرفة تعطيلا لا توحيدا، واللازم باطل بلا شبهة وكفى في كونه متصلا بصريح أيمة العربية بذلك، واختبار كثير منهم الرفع، وتصريحهم بأن المستثنى إذا رفع فهو بدل بعض من كل عند البصريين.

■■■■

وأما بطلان كونه منقطعا فلما علمت من أن الاتصال والانفصال على طرفي نقيض متى صح أحدهما بطل الآخر، وقد صح الاتصال فبطل الإنفصال، قال العارف بالله سيدي عبد الرحمن الفاسي في الفرائد السنية، عند قول الإمام السنوسي، فالمنفى كل فرد من أفراد الإله غير مولانا إلى آخره، ما نصه يشير إلى أن الذاكر لهذه الكلمة لم يقصد قط استغراق النفي حتى يلزمه الكفر، بل بنى كلامه على نفي إلاهية غير الله، وقصر الألوهية على الله، وبذلك تتحقق كون الإستثناء في الكلمة المشرفة متصلا، وما يحكى عن ابن حزم من الإنقطاع بناء على أنه لا جنس له تعالى حتى يكون، ومجرد إدراك معنى الكلي لا يمنع من الشركة، ولذا لم يغير دليل وجود الإله عن دليل وجود أنيته. انتهى.

■■■■

وأقول، يقال لمن زعم أنه منفصل ما معنى الإله الذي نفيت أفراده على سبيل الإستغراق، أن المعبود بحق أم المعبود بباطل أم مطلق المعبود الشامل لهما فإن قال الأول لزمه الكفر والعياذ بالله لزعمه أن الله تعالى وتقدس، لا يصدق عليه المعبود بحق، إذا لم يصدق عليه ذلك صدق عليه نقيضه ضرورة استحالة ارتفاع النقيض، فيكون مدلول الكلمة على هذا التقدير الفاسد نفي كل فرد من أفراد المعبود بحق لأن ذلك قضية جعل لاستثناء منقطعا، وتذكر ما مر من الأصوليين من كون الإستثناء المنقطع ليس فيه تخصيص، بل ما قبل الأداة فيه باق على حاله بلا خلاف، والخلاف الذي حكاه فيه صاحب الجمع ليس في التخصيص به بل في كون الأداة فيه باق على حاله بلا خلاف والخلاف الذي حكاه فيه صاحب الجمع ليس في التخصيص به، بل في كون الأداة فيه حقيقة أو مجازا...

(يتبع)

في ظلال الحديث

الحديث الواحد والثمانون: حقيقة الصيام

نص الحديث:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ): "من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه" رواه البخاري.

■ إعداد الأستاذ: عبد الله بوغوتة

تخريج الحديث

هذا الحديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب من لم يدع قول الزور والعمل به في الصوم ج2/ص673/ح1804، وفي كتاب الأدب، باب قول الله تعالى واجتنبوا قول الزور ج5/ص2251/ح5710 والترمذي في سننه، كتاب الصوم باب ما جاء في التشديد في الغيبة للصائم ج3/ص88/ح707 وابو داود في سننه، في الصوم، باب الغيبة للصائم ج2/ص307/ح2362. وابن ماجه في سننه، في الصيام، باب ما جاء في الغيبة والرفث للصائم ج1/ص539/ح1689 وابن حبان في صحيحه ج8/ص257/ح3480. وابن خزيمة في صحيحه ج3/ص241/ح1995. وابن حنبل في مسنده ج2/ص453/ح9838، والنسائي في سننه الكبرى ج2/ص238/ح3245، وغيرهم..

درجة الحديث:

هذا حديث صحيح، ورجاله ثقات.

سند الحديث

هذا الحديث أخرجه البخاري في الجامع الصحيح فقال: حدثنا آدم بن أبي إياس حدثنا ابن أبي ذئب حدثنا سعيد المقبري عن أبيه عن أبي هريرة، وذكر الحديث وهذه تعريفات موجزة بالرواة:

ادم ابن أبي إياس: قال البخاري واسمه عبد الرحمن بن محمد مولى بني تيم أو تميم، ويكنى بأبي الحسن خراساني من أهل مرو الروذ، من الطبقة الصغرى من الأتباع، طلب الحديث ببغداد وسمع من شعبة سماعا كثيرا صحيحا ثم انتقل فنزل عسقلان فلم يزل هناك حتى مات بها في جمادى الآخرة سنة عشرين ومائتين عن ثمان وتسعين سنة رحمه الله تعالى، يقال إنه كان ممن يكتب عنه شعبة وكان يقرىء القرآن وكان من الستة الذين يضبطون الحديث عند شعبة وقال أبو حاتم الرازي هو ثقة مأمون صدوق متعبد من خيار عباد الله.

ابن أبي ذئب: أبو الحارث محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن الحارث بن أبي ذئب القرشي العامري المدني الفقيه الإمام الثبت العبد شيخ الوقت، قال الواقدي ولد سنة ثمانين. قال احمد بن حنبل كان ابن أبي ذئب يشبه سعيد بن المسيب وكان من أورع الناس وأفضلهم ورمي بالقدر وما كان قدريا لقد كان يعيبهم وكان يصلي الليل أجمع ويجتهد في العبادة ولو قيل له ان القيامة تقوم غدا ما كان فيه مزيد اجتهاد وكان يحفظ حديثه لم يكن له كتاب وكان يبكر إلى الجمعة فيصلي حتى يخرج الإمام ورايته. قال مصعب الزبيري كان ابن ذئب فقيه المدينة وكان من أقول أهل المدينة بالحق، ولقد عاصر مالكا. توفي سنة 159 رحمه الله تعالى.

سعيد المقبري: هو ابو سعد سعيد بن أبي سعيد كيسان المقبري المدني، من الطبقة الوسطى من التابعين، ولد بالمدينة وتوفي بها سنة123هـ، وهو ثبت تغير قبل موته بأربع سنين، وقد قبله الناس وروى عن الأئمة والثقات من الناس وما تكلم فيه أحد إلا بخير.

عن أبيه: هو أبو سعيد كيسان المقبري الملقب بصاحب العباء، من كبار التابعين، مولى أم شريك من بني جندع ابن ليث ابن بكر رأى عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب ويروى عن ابي هريرة ولكنه لم يكثر وجل حديثه عند ولده سعيد. ولد بالمدينة ومات بالمدينة في إمارة الوليد ابن عبد الملك سنة مائة(100هـ) وقد قيل إنه مات في خلافة عمر بن عبد العزيز.

أبو هريرة: هو عبد الرحمن بن صخر، قدم المدينة سنة سبع والرسول (ﷺ) بخيبر، فسار إليه وأسلم على يديه ولازمه ملازمة تامة رغبة في العلم، ولذا كان أكثر الصحابة رواية ببركة دعاء النبي (ﷺ) روي عنه (5374)، ولم يزل يسكن المدينة حتى توفي رضي الله عنه بها سنة 57 في آخر خلافة معاوية وله من العمر 78 سنة ودفن بالبقيع رضي الله عنه وأرضاه. مناقبه عديدة لايتسع المجال لبسطها، وباختصار ومن خلال أحاديث صحيحة من أحبه كان مؤمنا، ومن أبغضه كان منافقا.

أهمية الحديث:

هذا حديث عظيم، يبين من خلاله نبي الهدى (ﷺ) حقيقة الصيام، إذ كما قال (ﷺ) في حديث آخر: "ليس الصيام من الأكل والشرب، إنما الصيام من اللغو والرفث" وليس من مفهوم الحديث أن من اقترف الموبقات يفطر، بل هو تشديد في الزجر والترهيب للذين لايقدرون شهر الصيام حق قدره.

مفردات الحديث:

"الزور": الكذب

"والعمل به": اي بمقتضاه.

"ليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه": قال ابن بطال: ليس معناه أن يؤمر بأن يدع صيامه ، وإنما معناه التحذير من قول الزور وما ذكر معه.

المعنى العام:

1. رمضان أقبل.. فكيف حالنا؟: ها نحن نستقبل شهرنا العظيم الكريم، شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن، شهر الصيام والذكر والقيام، شهر التوبة والغفران، شهر العزة والكرامة... فالحمد لله الذي بلغنا رمضان، فكم من واحد كان يأمل ويتمنى أن يصوم هذا الشهر ففاجأه أجله فسار إلى ظلمة القبر، وكما قيل: كم مستقبل يوم لايستكمله ومؤمل غدا لايدركه.

أظلنا رمضان بعد أن انقضت الأحد عشر شهرا الماضية، التي ظلت تجري بسرعة عجيبة في دهشة وذهول من العاقلين، وغفلة ومجون من اللاهين (قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين" قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فاسأل العادين" المومنون:112.113. هكذا تطوى الليالي والأيام، وتنقضي الشهور والأعوام، والعاقل اللبيب من يفكر ويعتبر بتلك الأيام التي عاشها والليالي التي قضاها، وما تضمنته من أعماله التي سيجدها بين يديه يوم القيامة كتابا منشورا...

كل الناس يغدو في أهداف وآمال ورغبات وأماني، ولكن أين الجادون؟ أين الجادون فرمضان قد أظلنا منذ أيام فكيف حال الناس بل كيف حال الأمة!! هل من وقفة صادقة للمحاسبة؟ وهل من وقوف جاد للتأمل؟ وما هي مراسم الاستقبال؟؟بل كيف حال الصائمين، هل استطاعوا أن يرتقوا إلى درجات التقوى وحققوا بذلك الغاية من الصيام، أم أن عددا هم جوعى وعطش ليس إلا...

إن الحديث الذي بين أيدينا نبهنا إلى أمر غاية في الأهمية وهو حقيقة الصيام، لعل المسلمين يعقلون ويتوبون فيصومون صياما يحبه الله ورسوله، وليس صياما شكليا أجوف، خاليا من كل معاني الصيام، إذ ها هو رمضان قد جاء ومضت منه بضعة أيام، وفي الأمة تعساء قد استقبلوه على أنه شهر، جوع نهار وشبع ليل، نوم في الفراش إلى مابعد العصر بل حتى قبيل الأذان، وسمر في الليل إلى الفجر، تراهم ذئابا في الليل جيفا في النهار، جعلوا من رمضان موسم طرب وسهر بل وقمار وسمر وفجور، وظنوا أنهم يستترون من ربهم بظلمة الليل، إنهم يقتلون رمضان ويفسدون حلاوته وطعمه، ويضيعون حقيقته، حرموا وحرموا غيرهم من جمال رمضان وروعة الحياة فيه، عبادة البدن والجسد بنزواته ولذاته، وأسر للروح والعقل، مساكين هؤلاء، حادوا عن الصواب وغالطوا أنفسهم، بل وزين الشيطان لهم سوء أعمالهم، فأصبحوا لايميزون... ولقد جئت بهذا الحديث لعل من قراه ووعاه من القراء الأفاضل، وتحمل أمانة تبليغه، يساهم في حملة ربانية لإيقاظ الغافلين والتحذير من غضب رب العالمين بالكلمة الطيبة والقول اللين وفي ذلك فليتنافس المتنافسون...

2. من كان متأسيا، فليتأس بمن قد مات فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة:

إن تصحيح أوضاعنا على ضوء الكتاب والسنة فريضة شرعية وضرورة حضارية، لأنه لايعقل بأي حال من الأحوال، ونحن أمة الشهادة والخيرية أن نعطي للذين من المفروض أن نقودهم إلى الخير، أسوأ الأمثال، وخصوصا في شهر الصيام والقرآن والانتصار والقيام، ولن تتأتى لنا عملية التصحيح هذه إلا باستحضار نماذج بشرية جسدت هذا الحديث وغيره من سنن وهدي المصطفى عليه أفضل الصلوات وأزكى التسليم، فما حال السلف الصالح في رمضان؟

أما رسول الله (ﷺ) بأبي هو وأمي. فقد كان يبشر أصحابه بقدوم رمضان كما أخرجه النسائي وغيره وصححه الألباني من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله (ﷺ): "أتاكم رمضان شهر مبارك فرض الله عز وجل عليكم صيامه تفتح فيه أبواب السماء وتغلق فيه أبواب الجحيم وتغل فيه مردة الشياطين لله فيه ليلة خير من ألف شهر من حرم خيرها فقد حرم"انظر الحديث 80 من هذه السلسلة)

وقال معلى بن الفضل عن السلف "كانوا يدعون الله ستة أشهر أن يبلغهم رمضان ثم يدعونه ستة أشهر أن يتقبل منهم" وقال يحيى بن أبي كثير": كان من دعائهم، اللهم سلمني إلى رمضان، وسلم لي رمضان، وتسلمه مني متقبلا"، وباع قوم من السلف جارية، فلما قرب شهر رمضان رأتهم يتأهبون له ويستعدون بالطعمة وغيرها فسألتهم، فقالوا: نتهيأ لصيام رمضان"، فقالت:"وانتم لاتصومون إلا رمضان !! لقد كنت عند قوم كل زمانهم رمضان، ردوني إليهم".

هكذا كان استقبال السلف لرمضان، فرمضان له طعم خاص ولذة عجيبة في نفوسهم رضوان الله تعالى عليهم، فهو يبعث في نفوسهم قوة الإيمان والشجاعة والكرامة، ولهذا كانت أكثر غزوات ومعارك المسلمين في رمضان لماذا؟ إنها حياة الروح حتى وإن كانت البطون خاوية والشفاه يابسة، فالحياة حياة الروح، حياة القلب، حياة الانتصار على النفس وعلى الشهوات، ومن انتصر على نفسه انتصر على الأعداء.

إنها حياة الصلة والثقة بالله جل وعلا، وهنا يكمن جمال رمضان وروعة هذا الشهر بتلك الروحانية العجيبة التي توقظ المشاعر وتؤثر في النفوس، فرمضان له في نفوس الصالحين الصادقين بهجة، وفي قلوب المتعبدين المخلصين فرحة، فهو شهر الطاعات ولنا فيه جميل الذكريات، انه زاد الروح تتغلب الروح فيه على البدن والجسد، فيتحول فيه المؤمن من الكسل إلى الجد، ومن الكذب إلى الصدق ومن البعد من الله إلى التقرب إليه...

فكيف السبيل لهذا النعيم؟ كيف نصوم وكيف نجد ماوجد أولئك الرجال؟ إن الجواب سهل، وما عليك أيها المؤمن إلا أن تصوم وتقوم كما كان يصوم ويقوم قدوتنا وحبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم ، (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحلكم الله ويغفر لكم ذنوبكم)آل عمران:31.

3. حقيقة الصيام: فالصوم يجعل القلوب لينة رقيقة، يجعلها ذات شفافية وحساسية، يجعلها وجلة حية، يوقظ القلوب، فإذا فسد الناس في زمن من الأزمان فإن صلاحه لايكون بالتشدد والتنطع، فليبدأ الصلاح بإعداد القلوب وبث حرارة الإيمان فيها، وخوف الله ومراقبته، فالإسلام لايقود الناس بالسلاسل إلى الطاعات، إنما يقودهم بالتقوى ومراقبة الله والخوف والخشية منه، ولنعلم من خلال الحديث أن ابتعادنا عن طريق الموبقات يسهل لنا الوصول الأسرع والأسلم، إلى ثمار الصيام، يقول القسطلاني . رحمه الله . معددا ثمرات الصوم" ومنها رقة القلب وغزارة الدمع وذلك من أسباب السعادة، فإن الشبع مما يذهب نور العرفان، ويقضى بالقسوة والحرمان".

أليس كثرة الطعام والشراب لها أثر كبير على فساد القلب وغفلته؟ فالبطنة تذهب الفطنة كما يقال، والشبع يقسي القلب ويعميه، والرسول (ﷺ) يقول: "ما ملأ ابن ادم وعاء شرا من بطنه" كما في الترمذي وحسنه، وقال عمرو بن قيس: : إياكم والبطنة فإنها تقسي القلب"، وقال الحارث ابن كلدة، وهو الطبيب العربي المشهور" الحمية رأس الدواء والبطنة رأس الداء"، وقال سفيان الثوري": إن أردت أن يصح جسمك ويقل نومك فأقلل من الأكل.."ولذلك فإن تقليل الطعام والشراب ومباشرة النساء ينور القلب ويوجب رقته، ويزيل قسوته، فالصيام فيه كسب للنفس وتحلية القلب للذكر والفكر.

والصيام يضيق مجاري الدم التي هي مجاري الشيطان من ابن آدم، فإن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، فتسكن بالصيام وساوس الشيطان، وتنكسر ثورة الشهوة والغضب.

الإمساك عن الطعام والشراب في رمضان ليس هدفا في ذاته، بل هو وسيلة لرقة القلب وانكساره وخشيته لله، ولذلك قال (ﷺ): "ليس الصيام من الطعام والشراب إنما الصيام من اللغو والرفث" رواه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم.

هذه هي حقيقة الصيام فلا تحرم نفسك منها أيها القارئ الكريم، أما إن كان الأمر ترك الطعام والشراب فما أهون الصيام، ولكن إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك من الكذب والمحارم، وجماع ذلك خوف القلب من الله ومراقبته وإلا فتنبه واحذر فربما دخلت في قول الرسول (ﷺ): "رب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش، ورب قائم حظه من قيامه السهر" نعوذ بالله من حال هؤلاء... والحديث أخرجه النسائي وابن ماجة وابن خزيمة وابن حبان وقال الحاكم صحيح على شرط البخاري.

إذا، ليس رمضان إمساك عن الطعام والشراب فقط، وسجودا وركوعا، والقلب هو القلب قاس عاص غافل لاه، الغناء الماجن يطرب الأذان، وللعينين أطلق العنان، واللسان غش وكذب وغيبته نميمة وسب ولعان وزور وبهتان.. وصدق من قال: "فآف ثم آف لنفوس لم يهذبها الجوع ولم يربها السجود والركوع، فالصيام تدريب للنفوس وتعويد لها على الصبر وترك الشهوات.

قال ابن رجب . رحمه الله . كل قيام لاينهى عن الفحشاء والمنكر، لايزيد صاحبه إلا بعدا، وكل صيام لايصان عن قول الزور والعمل به، لايورث صاحبه إلا مقتا وردا، ياقوم أين آثار الصيام؟!أين أنوار القيام؟! إن كنت تنوح ياحمام الباني للبين أين شواهد الأحزان؟!أجفانك للدموع أم أجفاني، لاتقبل دعوى بلا برهان" انتهى كلامه رحمه الله.

ليس الصيام في الإسلام لتعذيب النفوس، بل هو لتربيتها وتزكيتها ولينها ورقتها، فالقرآن يعلمنا أن الصوم إنما فرض لنذوق طعم الإيمان ونشعر براحة القلب وسعادة النفس ولذة الحياة وكل ذلك في مراقبة الله والخوف منه، فتقوى الله أعظم كنز يملكه العبد في الدنيا، وليس أشقى والله على وجه الأرض ممن يحرمون طمأنينة الأنس بالله بتقوى الله.

4. وأخيرا: هكذا علينا أن نحيا رمضان،عندما نفهم حقيقة الصيام ونشعر بحلاوة الإيمان، هذه الأحاسيس الجميلة والمشاعر النبيلة، هذه الروحانية السنوية، ماهي إن شاء الله إلا عاجل بشرى المؤمن، فسبحان من أشهد عباده جنته قبل لقاءه، وفتح لهم أبواب في دار العمل فأتاهم من روحها ونسيمها وطيبها ما استفرغ قواه لطلبها والمسابقة إليها، أما الحلاوة الحقيقية فيكفي قول الحق عز وجل: (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون)السجدة:17.

علينا أن نكرم هذا الوافد الكريم... أن نستقبله بالتوبة الصادقة والرجوع إلى الله، وأن نري الله من أنفسكم في هذا الشهر المبارك... فإن لله نفحات من حرمها فقد حرم خيرا كثيرا، وأن نجاهد أنفسنا، بإخلاص النية لله في الصيام والقيام وسائر الأعمال، فربما قطع هادم اللذات تلك الأماني فبلغ صاحبها بنيته ما لم يبلغه بعمله...

فوائد الحديث:

×التخويف من إحباط أجر الصوم وثوابه، إذ إن لم يدع الكذب واللغو والباطل فلا يثاب على صومه.

×حقيقة الصيام: الامتناع عن المفطرات الحسية كالأكل والشرب والجماع، وكذلك الامتناع عن المفطرات المعنوية كالغيبة والنميمة والكذب وفحش القول وسوء الخلق.

حديث المنابر

رمضان شهر الخير

■ إعداد الأستاذ : عبد الله الطيبي كديرة

الخطبة الأولى

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي جعل لنا في رمضان من الخير مالو علمه الناس لتمنوا أن تكون السنة كلها رمضان..ياربنا الكريم، ياأرحم الراحمين، ياذا الجلال والإكرام، لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك..أعطيتنا بمحض فضلك هذا الشهر الكريم المطهر العظيم، تغفر لنا فيه ماتقدم من ذنوبنا، إن صمناه وقمناه إيمانا واحتسابا.. نشهد ألا إله إلا أنت وحدك لاشريك لك.. وأن محمدا عبدك ورسولك.. اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه.. إمام رسل الله، وخاتم الهداة إلى الله، جاءنا من أنفسنا وأنفسنا.. حريص علينا، عزيز عليه أن نعنت أو نشقى، لأنه بنا رؤوف رحيم إن كنا مؤمنين حقا.. صلى الله عليك وعلى الك وصحبك يارسول الله وسلم تسليما.. فقد بينت لنا من فضائل شهر رمضان ومزاياه وخصائصه مايجعلنا فعلا نتمنى أن تكون السنة كلها رمضان.. وضحت لنا بأنصع الدلائل وأوضح البراهين وأقوى الحجج أننا إن قمنا رمضان هذا الشهر العظيم في عبادة خالصة مخلصة لله تعالى، وأطعناه سبحانه عن إيمان واحتساب وهمة صادقة غفر لنا ماتقدم من ذنوبنا..

أيها المؤمنون الأبرار، أيها الصائمون لله إيمانا واحتسابا، أبشروا فقد فزتم ورب الكعبة، ورب هذا الشهر العظيم.. أبشروا فقد جاءكم شهر يعتبر جامع فضائل الإسلام، شهر هو ملتقى العبادات، هو ملتقى الخيرات.. شهر تصومون فيه إن شاء الله، فيتحقق لكم بعون الله وفضله فضيلة التقوى، ومااعظمها من فضيلة.. وما أروعها من فضيلة، وكفى بفضيلة التقوى أن يقول فيها رب العزة جل جلاله: "ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لايحتسب"وأن يقول فيها أيضا :"واتقوا الله ويعلمكم الله".

كفى برمضان أيها المؤمنون فضلا أن هذا الشهر هو الذي تحققت فيه أروع انتصارات المسلمين على أعدائهم الذين يتربصون بهم ويدبرون لهم الدوائر ويكيدون لهم كيدا... ففي شهر رمضان انتصر المسلمون في معركة بدر الكبرى.. وفيه انتصروا على المغول والتتر في عين جالوت العظمى في الخامس والعشرين من رمضان.. بعد أن أدى المسلمون فريضة الجمعة... وكانت دعواتهم فيها أشد وقعا على أعدائهم من السيوف... وأول ماقاموا به بعد النصر أن صلوا ركعتين شكرا لله تعالى... لقد صدقوا الله ماوعدوه في جهادهم.. فنصر الله قلتهم على كثرة أعدائهم.. والبطل المغربي المسلم طارق بن زياد.. وهب نفسه للجهاد في سبيل إعلاء راية الإسلام.. في شجاعة المسلم المؤمن ذي العزم الصادق والشكيمة القوية صاحب الكلام البليغ والبيان الفصيح.. تربى منذ صباه على لغة القرآن ودين الإسلام، ورضع من لبان آداب العربية.. وعلى الإخلاص في الجهاد من أجل نشر القرآن وإعلاء كلمته.. ففي رمضان من سنة 92هـ انتصر هذا القائد المغربي البطل بجنوده القلة من المؤمنين المجاهدين المغاربة وفتحوا الأندلس ونشروا فيها الإسلام واللغة العربية، ونقلوا إليها الحضارة الإسلامية..

وموقعة الزلاقة التي انتصر فيها المسلمون الصائمون القائمون المرابطون من المغاربة الأحرار كانت في رمضان سنة 479هـ، بقيادة أمير المسلمين يوسف بن تاشفين رحمه الله... وفي رمضان.. في العاشر منه سنة 1392هـ، كان المغاربة المسلمون من بين المجاهدين الذين حققوا النصر على أسطورة الجيش الإسرائيلي الذي لايقهر..فيالق من الجنود المغاربة بعثهم مولانا أمير المؤمنين الحسن الثاني رحمه الله تعالى ليجاهدوا في الدفاع عن أرض الإسلام، فكان أن حقق الله على أيديهم وأيدي إخوانهم ماذهبوا لتحقيقه من استعادة هيبة الإسلام والمسلمين..وكان شعارهم في هذه المعركة(الله أكبر).

أيها المؤمنون الأبرار هذا هو رمضان العظيم، وهذه بعض تجلياته في مجال الجهاد، والذب عن راية الإسلام وحوزة المسلمين.. لماذا كانت له كل هذه الفضائل؟ لأنه يعود المؤمن على التسامي بسلوكه عن كل فعل خسيس ناقص .. لأنه يدفع المؤمن إلى الترفع عن ارتكاب المنكرات والموبقات.. لأنه يعلم المؤمن كيف يراقب الله في السر والعلن، في كل أوقاته، وفي جميع حالاته.. إنه يحرر المؤمن من سلطان غرائز الدنيا.. إنه يقربه من الملإ الأعلى..

أيها المؤمن الصائم، أنت قريب من الله، فادعه يستجب لك أيها المؤمن الصائم، خلوف فمك أطيب عند الله من ريح المسك...

أيها المؤمن الصائم.. لاتخش النوائب ولا الكوارث ولا المصائب، لأنك في نهار رمضان صائم، وفي ليلة قائم، فأنت بالله ومع الله وفي ذمة الله... لأنك في رمضان مستعين بالصبر والصلاة.. لأنك في رمضان تؤدي زكاة بدنك بالصوم.. وتؤدي حق روحك بما يعودك عليه الصوم من صبر... والصوم أيها المؤمن نصف الصبر...

أيها المؤمن الصائم، أنت بشر، أنت إنسان، فيك من نقص البشر وضعف الإنسان، تغضب كما يغضب الناس، تشتهي كما يشتهون شهوة البطن والفرج، ولكن صومك يمنحك الطموح إلى القرب من درجات الملائكة المقربين، لتكون إنسانا أقرب إلى طهارة الملائكة... بروحك القوية، وعقلك المتفكر، وقلبك الذاكر المتدبر، وإرادتك الصلبة التي لايفلها الحديد..

أيها الصائم المؤمن، أنت في هذا الشهر تجاهد نفسك، وجهاد النفس كبير.. أنت مجاهد حين تغالب هواها، وتسعى إلى هداها.. تحلم وتعفو وتصفح حين ينتقم غيرك لنفسه... تسكن وتصبر وتطمئن حين يصخب غيرك ويضجر ويغضب ويتكدر.. قلبك متفتح لاستقبال نفحات الله في هذا الشهر العظيم، بصرك حديد، وبصيرتك يقظة واعية، فليس للشيطان إليك سبيل، لأنك يا أخي في رمضان تريد أن تحقق في نفسك وفي غيرك فضيلة التقوى... وتريد أن تكون متقيا مع المتقين.. تريد أن تكون من الذين قال الله تعالى فيهم: "إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذاهم مبصرون"...

أخي الصائم المؤمن، حقق الله لي ولك ولجميع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها مانصبو إليه جميعا في هذا الشهر العظيم من تقوى الله وخشيته مايقربنا إلى جنات رضوانه، ويبعدنا عن جحيم غضبه وهوانه.. إنه سميع عليم وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين... الحمد لله الذي جعل للصائم عنده أعظم المنازل وأكرم الثواب وأكبر الأجر.. وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد بن عبد الله رسول الله الذي ما كان له هم إلا أن يعلمنا ويطهرنا ويزكينا.. وهو القائل صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم عن فضل ما اختص الله به الصائمين دون غيرهم: "إن في الجنة بابا يقال له الريان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لايدخل منه أحد غيرهم، يقال: "أين الصائمون فيقومون، فإذا دخلوا، أغلق عليهم فلم يدخل منه أحد" متفق عليه.

واختصهم الله أيضا بأن صيامهم لهم جنة من النار.. وهذا الصادق المصدوق الذي لاينطق عن الهوى صلى الله عليه وسلم وآله وصحبه وسلم يؤكد: "الصيام جنة وحصن حصين من النار"(أحمد).

واختصك الله تعالى أيها الصائم خلال صيامك بفرحتين.. وهذا الصادق الأمين يبشرك: ".. وإن للصائم فرحتين: إذا أفطر فرح، وإذا لقي الله فرح"(مسلم).. ومن خصائص صومك الحق لك في مكيال الجزاء الأوفى أن الله جعل صومك صحة وعافية وزكاة لبدنك وقلبك وروحك وعقلك، وقد أثبت ذلك بالحق من الحق رسول الحق صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: "صوموا تصحوا" (ابن السني).فصومك زكاة جسدك مصداقا لقوله عليه صلاة الله وسلامه: "لكل شيء زكاة، وزكاة الجسد الصوم والصوم نصف الصبر" (ابن ماجة)..فاللهم اجعلنا من أصحاب باب الريان ندخله مع الداخلين من الصائمين، واجعل صيامنا لنا جنة ووقاية من النار.. وحصنا به في حصن حصين من خزي الدنيا وعذاب الآخرة... وحقق لنا به الفرحتين فطرنا ولقائك.. وزك به أرواحنا وأبداننا وأنفسنا وعقولنا... واجعلنا به من الصابرين على المستويات الثلاثة صبر على قضائك وقدرك، وصبر عن شهوات النفوس.. وصبر على طاعتك وذكرك وشكرك وحسن عبادتك.. مولانا أمير المؤمنين سادس المحمدين.. زينه اللهم بزينة التقوى في أعماله وأقواله، واحفظه من كل سوء وشر... وقه السيئات.. ووفقه لكل مايرضيه ويرضيك عنه.. وأقر عينه بولي عهده الحسن الأحسن الفرحة الكبرى الدائمة.. والبشرى المستمرة المتواصلة... صاحب السمو الملكي مولانا الحسن... وبشقيقه السعيد السديد مولانا الرشيد وبكل أهله وشعبه..اللهم قو أمة الإسلام بالحلم والتقوى وطهارة الشيم والأخلاق ونظافة الأيدي وطهارة السيرة ونقاء السريرة... ووحد كلمتهم واجمع على الكلمة السواء شملهم.. وأعزهم بعزة الإيمان... وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه ووالاه إلى يوم الدين.. وأستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب عليه... سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين... والحمد لله رب العالمين..

ذكرى تحويل القبلة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام

■ إعداد الأستاذ: محمد أصبان

■ الناس في هذه الدنيا يتفاوتون بمدى قربهم من الله، وصدق توجههم إليه، وإخلاصهم إليه في عبادته، وتعلقهم بالله الذي لاإله إلا هو، وكذلك الأيام والليالي والشهور والسنين، تتفاضل بقدر ما يقع فيها من أحداث.

وشهر شعبان، هو شهر الحوادث والذكريات. في النصف منه وقع تحويل القبلة من المسجد الأقصى بالقدس الشريف، إلى المسجد الحرام بمكة المكرمة، لما أتحف الله بهديه الصلاة في الرحلة الكونية الخالدة. رحلة الإسراء والمعراج. لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كان يصلي إلى القبلة الأولى المسجد الأقصى، وطوال ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا كان أثناءها يناجي ربه لتكون قبلته المسجد الحرام الذي رفع قواعده خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام بمعاونة ولده إسماعيل عليه السلام.

وبعد الهجرة .. وفي صباح إحدى الأيام قام عليه الصلاة والسلام. وفاء منه لأصحابه. بزيارة أرملة الصحابي الجليل، البرار بن معروز، الذي كان أول من بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة القصبة، حل عليه الصلاة والسلام في بني سلمة بضواحي المدينة المنورة وقصد بيت الأرملة رفقة ثلة من أصحابه فرحبت بهم وصنعت لهم طعاما، وحضر وقت صلاة الظهر، فتوجه عليه الصلاة والسلام إلى مسجد هناك، وفي أثناء الصلاة. صلاة الظهر. لما صلى ركعتين، جاء الأمر من الله بتحويل القبلة إلى المسجد الحرام بمكة المكرمة، قال تعالى :(قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها، فول وجهك شطر المسجد الحرام) فالتفت عليه الصلاة والسلام متوجها إلى القبلة الجديدة المسجد الحرام، ولازال هناك بضواحي المدينة مسجد يعرف بمسجد القبلتين يقصده الحجاج والمعتمرون للزيارة والتبرك بالصلاة فيه.

لكن... ماذا وقع؟

انقسم الناس إلى :

1. مسلمين حقيقيين، قالوا سمعنا وأطعنا (وقالوا آمنا به كل من عند ربنا).

2. اليهود لعنهم الله، قالوا خالف محمد قبلة الأنبياء قبله.

3. المشركون قالوا: كما عاد إلى قبلتنا سيعود محمد إلى دين آبائنا (كبرت كلمة تخرج من أفواههم).

4. المنافقون قالوا: إذا كان محمد وأصحابه على حق في قبلتهم الأولى، المسجد الأقصى، فقد تركها، وإذا كانت الثانية، المسجد الحرام على الحق، فقد كان على الباطل.

ونزل القرآن يفضح سريرة هؤلاء الجاحدين (سيقول السفهاء من الناس ماولاهم عن قبلتهم، التي كانوا عليها، قل لله المشرق والمغرب، يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، وكذلك جعلناكم أمة وسطا، لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا، وماجعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه، وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله، وما كان الله ليضيع إيمانكم، إن الله بالناس لرؤوف رحيم).

أجل... لقد كان تحويل القبلة حدثا بارزا عظيما أعلى عن تمام بناء الأمة الإسلامية، لتنشر الحب والخير، والسلام، قبلة واحدة، تجمع الأمة الإسلامية على اختلاف ألوانها، وأجناسها، ولغاتها، وتوحدها على كلمة سواء.

هذا التحويل جاء يرمز إلى وحدة العقيدة، والمنهج الرباني السديد، وهو ما كان يتمناه ويرجوه رسولنا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وقد سعد المسلمون زمانا عندما التزموا قيم إسلامهم، سعدوا وقادوا الحياة إلى منهج المعرفة والتعليم، وفهموا دورهم الحقيقي في الحياة فنشأوا وأنشأوا أجيالا من البشر الصالحين.. إلى أن تغيرت المفاهيم وتكالب الناس على الدنيا وضيعوا حقوق الله فنسوا الله وأنساهم أنفسهم، وحدث مالا يرضاه الإسلام لأتباعه، ولايقبله أهل الإيمان والتقوى.

ها هو المسجد الأقصى المبارك، ينادي ويصرخ أين المسلمون فهل من مجيب!

إن القبلة الأولى. المسجد الأقصى. هي أمانة في عنق كل المسلمين، ولاسبيل إلي إجاعه إلا بالجهاد والعودة الصادقة إلى الإسلام سلوكا ومنهجا قولا وعملا، وإن الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.

لن نيأس فالنصر آت ولاشك يوم يهيئ الله جيلا من الربانيين، يفضلون مايبقى على مايفنى (ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز) وقول الله تعالى مخاطبا نبيه عليه السلام: (وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة) .

لنأخذ العبرة من حادثة تحويل القبلة فنتحد، ونتعاون، ونعمل يدا في يد من أجل العزة والكرامة حتى نستحق أن تعود إلينا الخيرية التي قال فيها ربنا العظيم (كنتم خير أمة أخرجت للناس، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتومنون بالله) (ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله).

الكلمة الطيبة

■ إعداد الأستاذ: عبد العزيز البوطيبي-عضو المجلس العلمي بالناظور

■ للكلمة الطيبة في حياة الناس أهمية كبيرة، ودور خطير، وإذا تأملنا تأثيرها، نجد أنه كم من كلمة شردت أسرة وهدمت كيانها، وكم من كلمة حولت شفاءها إلى سعادة، وكم من كلمة كانت السبب في وقوع جرائم، وكم من كلمة منعت وقوعها، بل كم من كلمة أشعلت حروبا وكم من كلمة أخمدتها وحولتها إلى سلام.

لأن الله سبحانه جعل للكلمة السيادة في هذه الدنيا، فعن طريقها يتلقى الإنسان منهج الله تعالى، فلولا الكلمة ما استطاع شخص أن يقيد علما أو يدون فكرا، ولا أن يورث للأجيال القادمة حضارة أو تقدما، وقد استعمل القرآن الكريم لفظ الكلمة في عدة مواضع، جاء في سورة التوبة الآية 40 «وكلمة الله هي العليا». وفي سورة الأنعام الآية 115 « وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا». وقد ضرب الله مثلا للكلمة فقال « ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار». سورة إبراهيم الايتان 24. 25. وهو مثل ضربه الله سبحانه لكلمة الإيمان، وكلمة الإشراك، فشبه كلمة الإيمان بالشجرة الطيبة، وكلمة الإشراك بالكلمة الخبيثة.

قال ابن عباس رضي الله عنهما : الكلمة الطيبة لاإله إلا الله، والشجرة الطيبة المؤمن، وهي الكلمة الحسنة التي أمرنا الله تعالى أن نقولها للناس «وقولوا للناس حسنا» وقيل هي كل كلمة حسنة كالتسبيحة، والتحميد والدعوة والاستغفار والتوبة وماإلى ذلك .

والله سبحانه يضرب مثلا للكلمة الطيبة والكلمة الخبيثة لتصوير سنته الجارية في الطيب والخبيث في هذه الحياة. فإن مشهد الكلمة الطيبة كالشجرة الطيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء، والكلمة الخبيثة كالشجرة الخبيثة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار.

والله يشبه الكلمة بالشجرة. طيبة كانت أم خبيثة. لماذا ؟ لأن الشجرة تبدأ بذرة ثم تنمو وتكبر وتكبر، ولعل في ذلك تنبيها إلى خطورة الكلمة الطيبة كانت أم خبيثة، فهي تخرج كذلك أولا من الفم كبذرة صغيرة ثم يتناقلها الناس، فتنمو وتكبر، وتنتقل إلى الأماكن الأخرى.

وكأن الله سبحانه وتعالى يلفتنا إلى خطورة الكلمة حتى لا نحسبها مجرد حروف ينطق بها اللسان ثم تنتهي بعد ذلك، وإنما هي كالشجرة التي تبدأ بذرة ثم تنشر فروعها. وتنتقل إلى أماكن أخرى.

كما أنها محسوبة على البشر فلابد أن يراقب كل واحد كلماته ويتدبرها قبل أن تخرج من فمه مصداقا لقوله تعالى «ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد» سورة ق الآية 17.

فهو سبحانه حبب لعباده كل عمل طيب، لأنه طيب لا يقبل إلا طيبا، ولهذا يريد أن يشيع الحديث الطيب بين المومنين في مجالسهم وفي مجتمعاتهم، لا يتناولون في حديثهم أعراض الناس وما يكرهونه، بل وإن تعرض أحدهم لقول السوء من غيره لايرد عليه بسوء، بل دعاه الله ليدفع بالتي هي أحسن يقول سبحانه :«خذ العفو وامر بالعرف وأعرض عن الجاهلين» سورة الأعراف الآية 199.

وقد كان الرسول ص يتمثل بهذه المكارم والمحامد حتى مدحه الله على الكلمة الطيبة «فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك» سورة آل عمران الآية 159.

لذلك فإن سيدنا جعفر الصادق رضي عنه : لما علم أن رجلا قد اغتابه طلب من خادمه أن يأتيه بأحسن أنواع التمر الموجودة عنده، ثم انتقى أطيبها وأرسلها في طبق إلى الرجل الذي اغتابه، وكتب معه ورقة فيها : . علمت أنك قد اغتبتني بالأمس، وبما أنك قدمت إلي أحسن ماعندك وهو حسناتك، فلم أجد بدا من أراد الهدية فأعطيتك أحسن ما عندي وهو هذا التمر.

والله سبحانه وتعالى فرق بين الكلمة الطيبة والكلمة الخبيثة، وإن شبههما معا بالشجرة التي تنتج الثمار، فجعل الكلمة الطيبة (كلمة الحق والسنة الطيبة، كالشجرة الطيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء، متعالية مثمرة لا ينقطع ثمرها أبدا، لأن بذورها تنبث في النفوس المتكاثرة حينا بعد حين تعطي ثمارها بمشيئة الله سبحانه الذي يبارك في العمل الطيب، وهذا ينطبق على كل كلمة طيبة انتقلت من مكان إلى مكان وانتشرت فيه جاءت بمحصول جديد لصاحبها الأول، فله أجر من عمل بها، وفي هذا يقول الرسول ص : . الخير في وفي أمتي إلى يوم القيامة..وفرعها في السماء » يعني أنك إذا قلت الكلمة الطيبة الكلمة الحسنة ، فابتغ الجزاء الأعظم والأوفى عند الله تعالى في الآخرة.

الكلمة الخبيثة . كلمة الباطل فهي شجرة أيضا تنتشر ثمارها وبذورها انتشار الكلمة الطيبة، لكن هناك فرق بينهما. فالكلمة الخبيثة عطاؤها خبيث بسبب ضررها للإنسانية جمعاء ، والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه، والذي خبث لا يخرج إلا نكدا، سورة الأعراف الآية 58. ومهما تعالت وتشابكت فروعها تبقى هشة وجذورها ضعيفة، ما هي إلا فترة قصيرة ثم تجتث من فوق الأرض وتستأصل جثتها، لأن الحق هو الذي ينتصر ، قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث ، سورة المائدة الآية 100.

ولهذا فإن بعض الناس ممن يتعجبون أحيانا من كثرة الخبيث في الحياة الدنيا ويخيل إليهم أنه أضخم من العمل الطيب، نجيبهم بأن هذا الخبيث الذي ترونه. لاقرار له ولا بقاء، مصداقا لقوله تعالى : «فأما الزبد فيذهب جفاء، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض» سورة الرعد الآية 17.

«ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا »

صدق الله العظيم.

كتاب الصيام (3/8)

■ الفقيه الأستاذ محمد بن لحسن الحسني

أركان الصوم أي فرائضه:

1 النية . ويشترط فيها ان تكون في الليل :(من الغروب إلى الفجر) للحديث الذي رواه النسائي وأبو داود والترمذي وابن ماجة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا صيام لمن لم يبيت الصيام من الليل» وأخرجه البخاري عن حفصة . ويصح (على الراجح) أن يوقع النية مع طلوع الفجر لقوله تعالى :(وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر) سورة البقرة/الآية 186 . وقيل لا تصح مع الفجر بل لابد أن يمسك جزءامن الليل، كما لا يصح أن يفطر حتى يدخل جزء من الليل (الأول أقيس والثاني أورع) ولا يضر ما حدث بعد عقد النية ليلا من أكل وشرب وجماع ونوم ويبطلها رفعها أي رفضها وإبطالها في ليل أو نهار أو حدوث إغماء أو جنون بعد عقدها إن استمر إلى الفجر ، فإن رفضها ثم أعاد عقدها قبل الفجر ، أو أفاق قبل الفجر صحت نيته لدخول الفجر عليها.

ولا تنعقد النية ، عندنا ، إذا نوى الصوم نهارا قبل الغروب لليوم المقبل ولاقبل الزوال لليوم الذي هو فيه ولو كان الصوم نفلا لم يتناول فيه قبل النية مفطرا. ولو ليوم عاشوراء . على الأصح . وقيل يجوز ذلك في يوم عاشوراء لأنه صلى الله عليه وسلم سأل فيه عن شيء يفطر به فلم يجد، فقال « إذا إني صائم » الجماعة إلا البخاري ولم يعمل به بعض الائمة.

وتكفي النية الواحدة للصوم الذي يجب تتابعه كرمضان وكفارات شهرين متتابعين والنذر المتتابع : كمن نذر صوم شهر بعينه ، أو عشرة أيام ، وقال متتابعة.

بشرط أن لا ينقطع تتابع صومه بمرض أو سفر أو حيض أو غيرها . فإن انقطع صومه فلا بد من تجديد النية وتبييتها كلما أراد الصوم ، ولو تمادى على الصوم في سفره أو مرضه ، ولو حصل المانع بعد الغروب وزال قبل الفجر فلابد من تجديد النية كإغماء أو جنون .

ويندب تجديد النية كل ليلة في الصوم المتتابع الذي تكفي فيه نية واحدة كرمضان والكفارة المتتابعة فإن لم يكن وجوبها فيبقى ندبها . كما يجب تجديدها في كل صوم يجوز تفريقه : كقضاء رمضان وصومه في السفر والمرض وكفارة اليمين والفدية في الحج.

2 الفرض الثاني : الترك ، وهو الكف ، من طلوع الفجر إلى غروب الشمس عن أمور تبطل الصوم.

1 . الجماع : لشخص مطيق وإن كان ميتا أو بهيمة، بإدخال الحشفة ، أو قدرها من مقطوعها في الفرج . فإن أدخل الذكر بين الأليتين أو الفخذين في فرج صغير لا يطيق فلا يبطل الصوم إذا لم يخرج مذي أو مني ، ففي الإدخال وخروج المني القضاء والكفارة معا وفي المذي القضاء فقط.

2 . إخراج المني: بمقدمات الجماع ولو بالنظر أو التفكير ، عليه القضاء والكفارة وكذا المذي وفيه القضاء . فإن خرجا أو أحدهما بغير لذة كالنوم أو بلذة غير معتادة كالضرب أو غيره لم يبطل الصوم.

3 . إخراج القيء: فإن ذرعه وغلبه فلاشيء عليه إذا لم يزدرد منه شيئا ، وإلا فعليه القضاء . جاء في الحديث الذي أخرجه أبو داود والنسائي والترمذي عن أبي هريرة « إذا ذرع الصائم القيء فلا إفطار عليه، وإذا استقاء فعليه القضاء، والفريضة والنافلة في ذلك سواء ، فالذي ذرعه القيء يندفع اندفاعا ، أشبه الاحتلام ، بخلاف الذي استدعى القيء ، فإن استقاء عابثا بلا مرض ولا عذر ، فرجع شيء إلى حلقه فعليه الكفارة أيضا. واستظهر بعض العلماء القضاء فقط. قالوا : إن وصل القيء إلى لسانه بحيث يقدر على طرحه فابتلعه مغلوبا أو ناسيا أو عامدا فعليه القضاء ولا كفارة إذا لم يستدعه ، وإن لم يبتلع شيئا منه فلا شيء عليه.

4 . وصول مائع من شراب وشبهه للحلق ولو لم يصل إلى المعدة ، ولو سهوا ، ولو من غير الفم كالعين والأنف والأذن يفسد الصوم وفيه القضاء . (فوصول المائع إلى الحلق مبطل ولو لم يصل إلى المعدة، ووصوله إلى المعدة مبطل ولو لم يمر من الحلق) فالحقنة وهي إدخال دواء سائل من الدبر تبطل لأنها تصل إلى المعدة ، ودهن الجائفة وهي الجراح التي وصلت إلى الجوف لا يبطل لأنه لا يصل إلى المعدة ، ولو وصلها لمات صاحبها في الحين ، وكذلك الحقنة في الإحليل وهو ثقب الذكر لا تبطل . فمن اكتحل أو دهن رأسه أو وضع شيئا في أذنه أو أنفه ليلا ، فهبط شيء من ذلك إلى حلقه نهارافلا شيء عليه . بخلاف من فعل ذلك نهارا فاستطعمه في حلقه فعليه القضاء .

وأما الشيء الصلب كالدرهم والحصاة فلا قضاء فيه إذا وصل إلى الحلق لأنه لاغذاء فيه بل هو مضر فلا يفسد الصوم . ومن حك أسفل رجليه بحنظل فوجد طعمه في فمه ، أو قبض على ثلج فوجد برده في جوفه فلا شيء عليه.

والفلقة من الطعام تكون بين الأسنان يبتلعها سهوا أو غلبة فلا شيء عليه ، فإن ابتلعها عمدا فعليه القضاء فإن أخذها من الأرض أو مكان آخر فابتلعها عمدا فالكفارة أيضا وفي السهو القضاء فقط.

والسواك الصلب الذي لا يتحلل منه شي وهو عود الأراك لتنظيف الفم مباح كل النهار ... لعموم قوله صلى الله عليه وسلم « لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة، ومنعه الشافعي بعد الزوال، ، حتى لا يزول الخلوف الذي هو أطيب عند الله من ريح المسك ، وإنما يجوز السواك بالصلب الذي لا يتحلل منه شيء ويكره بالرطب الذي يتحلل ، فإن تحلل ووصل منه إلى الحلق فكالمضمضة ، في عمده القضاء والكفارة، وفي التأويل والنسيان والغلبة القضاء فقط، وقشر الجوز أشد من غيره في ذلك ، ولا يضر وصول أثر المضمضة للحلق غلبة في النفل.

5 . وصول البخور الذي تنتعش به النفس وتلتذ بشمه كبخور العود والمصطكى والجاوي وشبهها للحلق. وكذلك بخار القدر تغلي بما تشتهيه النفس من أطعمة فإذا وصل البخور وبخار القدر للحلق باستنشاق لابشم فقط وجب القضاء ، سواء من صانعه أو من غيره ، وأما ما وصل من غير اختياره ولا استنشاقه فلا قضاء فيه صانعا كان أو من غيره ، ومثل البخور التدخين . وهو مص دخان الحشيش ، فإن كان عمدا ففيه القضاء والكفارة أيضا ، ومثله النشوق الذي يسحق وينشق بالأنف ، بخلاف غبار الطريق ودخان الحريق فلا قضاء في وصوله للحلق ولو عمدا . وأما روائح العطور بأنواعها فلا تفطر ولو استنشقها وإنما تكره ولا شيء في البلغم :(النخامة) ولو وصلت إلى اللسان وأمكن طرحها ، وقيل إن ابتلعها فقد أساء كما لاشيء في الريق لشدة المشقة.

وقال ابن عاشر رحمه الله تعالى:

فرض الصيام نية بليله
وترك وطء شربه وأكله
والقيء مع إيصال شيء للمعد
من أذن أو عين أو أنف قد ورد
وقت طلوع فجره إلى الغروب
والعقل في أوله شرط الوجوب
وليقض فاقده، والحيض منع
صوما وتقضي الفرض إن به ارتفع

■ انظر: كتاب منهاج الواردين

بر الوالدين وصلة الأرحام

■ إعداد الأستاذ :أحمد تشيكرت

■ من قيم الإسلام وآدابه الرفيعة ، بر الوالدين وصلة الأرحام، وقد جعل القرآن الكريم بر الوالدين في الوجوب والأهمية بعد الإيمان بالله عز وجل مباشرة فقال « وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهر هما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا ربكم أعلم بما في نفوسكم إن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفورا » سورة الإسراء / الآيات:23.24.25.

فمن خلال هذه الآيات يبين لنا سبحانه أن حقوق الآباء على الأبناء كثيرة نذكر منها مايلي:

1. الإحسان إليهما وهذا صريح في قوله تعالى: « وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا، فقد قرن الله سبحانه وتعالى الإحسان إليهما بعبادته .. لأن الله تعالى هو السبب الرئيسي في إيجاد الانسان في الخلق فله الفضل والمنة على العباد ثم يلي بعد ذلك السبب المسخر لإيجاد الإنسان وهما الوالدان حيث الأم تحمل وتلد وتتحمل المشاق والتضحية براحتها وسعادتها في سبيل تربية أبنائها وكذلك الأب يشقى ويتعب خارج البيت ليؤمن للأسرة ما تحتاج إليه ماديا ومعنويا.

2 . عدم الإساءة إليهما ولو بأقل تصرف من كلام أو فعل وأقل الإساءة كلمة " أف" وهي تدل على التضجر ، لأنها تجرح شعور الوالدين ، ولذلك حرم الله على الأولاد أن يتفوهوا بها.

3. التواضع لهما ، وهذا مطلوب فإذا كان من الواجب على المسلم أن يكون ذليلا مع أخيه ورحيما به فمن الواجب أن يكون أكثر ذلة لأبويه من غيرهما، وقد وصف الله المؤمنين بقوله « أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين» سورة المائدة/ الآية:45.

4 . وجوب شكرهما . وقد قرن الله سبحانه وتعالى شكرهما بشكره فقال « أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير » سورة لقمان / الآية 14.

5 . طاعة الوالدين فيما يأمران به ولو كان على خلاف ما يحبه الولد فلو أمر الرجل العادل ابنه بطلاق زوجته . مثلا . وجب على الابن أن يطيعه في هذا ولا يعصيه .. فقد أمر عمر ابنه عبد الله بطلاق زوجته ، فلم يطلقها فذكر ذلك للنبي (صلى الله عليه وسلم) فقال : ياعبد الله بن عمر طلق زوجتك وأطع اباك . ولاشك أن عمر لو لم ير سببا كافيا لطلاقها ما طلبه، ولهذا لا يطاع الآباء في طلاق الزوجات إلا عند المبررات الكافية للطلاق.

6 . حق النفقة: وهذا الحق واجب على الأبناء . سواء كانوا ذكورا أو إناثا . ويتحملهما الموسر منهم . ومحل وجوب نفقة الوالدين على الولد مالم يقدرا على الكسب . وإلا لم تجب على الراجح فإذا أنفق الأبناء على آبائهم عن طواعية واختيار فذاك وإلا رفع الآباء أمر النفقة إلى القاضي ، فيحكم لهم بالنفقة من تاريخ رفع الدعوى، أي الطلب المقدم أمام القضاء. وهذا ما نص عليه الفصل 130 من مدونة الأحوال الشخصية حيث جاء فيه مايلي « يقضي بنفقة الأبوين من تاريخ الادعاء ولنفقة الأولاد من تاريخ الامتناع».

حقوق الآباء بعد الوفاة:

حقوق الآباء لا تقتصر على وجودهم في حال الحياة فقط بل تمتد هذه الحقوق إلى ما بعد الوفاة ومجمل هذه الحقوق هي:

1 . الدعاء للوالدين بالمغفرة كما جاء ذلك على لسان نوح عليه السلام، رب اغفرلي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين إلا تبارا، سورة نوح الآية:28. وعلى لسان ابراهيم أيضا « ربنا اغفرلي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب » سورة إبراهيم/الآية:41. وعن أسيد مالك بن ربيعة الساعدي قال : بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاءه رجل من بني سلمة فقال : يارسول الله هل بقي من بر أبوي شيء أبرهما بعد موتهما؟ فقال صلى الله عليه وسلم« نعم، الصلاة عليهما، والاستغفار لهما وانفاذ عهدهما، من بعدهما وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما ، وإكرام صديقيهما ». رواه أبو داود.

2 . قضاء دينهما سواء كان الدين لله أو للعباد، كذلك أيضا أن يقوم الأبناء بالوفاء بجميع العهود والالتزامات التي قطعها الآباء على أنفسهم في حياتهم ، فإن هذه العهود قد تعلق بها حقوق لأصحابها ، وقد يكون من أصحاب هذه الحقوق من هو في أشد الحاجة إليها وتتعرض ذمة الأب والأم لسخط الساخطين فتبقى روحيهما حبيسة من جراء هذا السخط إلى أن يفي أبناؤهما بعهودهما ، فتنطلق أرواحهما وتطيب نفوسهما . ويشعران بالراحة الأبدية ، بعد أن برهما هؤلاء الأبناء.

3 . صلة أهل ود الوالدين. وهذه الصلة من حقوقهما ، وقد كان النبي (ﷺ)يصل صاحبات خديجة ، فإذا جاءه شيء ، أي من الخير ، قال ارسلوا إلى فلانة لقد كانت صاحبة خديجة.

وإذا كانت صلة صاحبات الزوجات . واجبة فصلة أصحاب الأبوين أوجب وآكد.

هكذا يتضح أن الإحسان إلى الوالدين والبر بهما في حياتهما وبعد مماتهما واجب ديني وشعور إنساني وعمل اجتماعي وسلوك أخلاقي جاء به ديننا الإسلامي الحنيف . وأمر به أمته المؤمنة واعتبره طريقا موصلا إلى كل خير وسعادة وطمأنينة ، وجعله تربية للإنسان ، على فعل الخير مع جميع الناس ، وعلى حسن التعامل معهم عملا بقوله عز وجل « هل جزاء الإحسان إلا الإحسان » وعملا بقول الرسول صلى الله عليه وسلم «من لم يشكر الناس لم يشكر الله» .

أولوا العزم من الرسل

■ الأستاذة: نبوية الناصري

سيدنا محمد (ﷺ)

(هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وكفى بالله شهيدا)
صدق الله العظيم

غزوة بدر:

■ كانت غزوة بدر الكبرى أول معركة حربية في الإسلام، وأول صدام حقيقي بين المسلمين والكافرين حيث تجلت روعة الإيمان، وقوة اليقين، وكانت معجزة النصر التي قدمت المثل العالي لثبات المؤمن، ونصرة الحق، وهزيمة الباطل.

خرج رسول الله (ﷺ) بجيش من المسلمين عدده ثلاثمائة وعشرة رجلا على سبعين بعيرا لثمان خلون من رمضان من السنة الثانية من الهجرة حتى نزلوا بدرا . فاتخذوا مكانهم ومواقعهم في مواجهة جيش المشركين الذي بلغ عدده ألفا من الرجال.

وفي صبيحة يوم الجمعة، السابع عشر من رمضان نشبت الحرب بين المسلمين والكفار في بدر، والتقى الجمعان . وقد أيد الله رسوله بالآيات والملائكة والمطر ثم أمرهه بالنصر، وحاصر يهود بني قينقاع فأجلوهم عن المدينة.

أعياد وفروض

لئن شهد شهر رمضان للسنة الثانية من الهجرة أول غزوة انتصر فيها المسلمون على صناديد قريش، فإن نهايته قد أسفرت عن أول عيد تعيد به المسلمون، عيد الفطر المبارك لأول شوال. وقد شهدت هذه السنة المباركة فرض صيام رمضان، وزكاة الفطر التي أعقبته، وكانت باب يسر على المهاجرين الفقراء، الذين هم بالمدينة معاشهم.

غزوة أحد

ارادت قريش ان تثأر لنفسها من بدر، فاخذت تتجهز وتتهيأ لقتال المسلمين، فسارت جموعهم إلى المدينة وبلغ خبرها إلى رسول الله (ﷺ) قبل أن تتحرك. فشاور أصحابه فقال بعضهم بالتحصن بالمدينة ورأى البعض الأخر لقاء العدو خارج المدينة.

وخرج المسلمون إلى أحد. وفي الطريق تخاذلت كتيبة ابن سلول فقفلت راجعة إلى المدينة، وكان ذلك من الخير فلا يستنصر بأهل الشرك على أهل الشرك. والتقى الجمعان بعد أن وضع رسول الله (ﷺ) الرماة فوق الجبل وأمرهم الا يبرحوا اماكنهم.. انتصر المسلمون أو هزموا.

وكان انهزام المسلمين في غزوة أحد شذوذا عن القاعدة، وما كان ذلك إلا لأنهم خالفوا متأولين . أوامر الرسول صلوات الله وسلامه عليه . غير أن ثقته بربه لم تفارقه لحظة واحدة، إذ انه بعد أن انهزم المسلمون في غزوة أحد مباشرة أمرهم صلوات الله وسلامه عليه بلم شعثهم وتضميد جراحهم والاستعداد فورا لمعركة من جديد.

غزوة بني النضير

خرج إليهم المسلمون يحمل لواءهم علي بن أبي طالب بعد أن هموا بقتل النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره جبريل من عند رب العالمين بذلك حتى إذا وصلوا إلى ديار اليهود حاصروهم في حصونهم ست ليال، وقيل بل خمس عشرة ليلة، وأحرقوا وقطعوا نخيلهم الذي كان عونا لهم على رمى المسلمين بالنبل والحجارة، فخارت عزيمة اليهود لما رأوا تخاذل ابن أبي وبني قريظة عنهم، واستسلموا للرسول. صلى الله عليه وسلم . الذي قضى فيهم بأن يخرجوا عن ديارهم بنفوسهم وذراريهم، وان لهم ماحملت الإبل إلا السلاح، فنزلوا على ذلك وخربوا بيوتهم بأيديهم، ورحلوا إلى خيبر والشام في ربيع الأول سنة أربع من الهجرة، جزاء كيدهم وغدرهم.

غزوة الأحزاب

"الآن نغزوهم ولا يغزونا، نحن نسير إليهم"، هكذا كانت كلمات النبي . صلى الله عليه وسلم . بعد ذهاب الأحزاب وجلائهم عن المدينة، وهكذا كانت بشارته، بدأت الغزوة بمكيدة يهودية دنيئة، تجمع المشركون من قريش والعرب على إثرها، وتوجهوا لمهاجمة المدينة، وعلم الرسول . صلى الله عليه وسلم . بنيتهم، فاجتمع بمجلس شوراه ليحسم أمره، وهناك كانت المشورة بحفر الخندق، وتحمل المسلمون مواجهة المشاق لإتمام حفره، والتغلب على تثبيط المنافقين، ووصلت جموع المشركين الزاحفة لاستئصال المسلمين، ففوجئت بما لم تحسب، فحاصرت المدينة إلى حين، ولم تستطع أن تداهمها، وإن لم يمنع ذلك من حدوث بعض قتال عبر الخندق، وفي هذه الظروف الخانقة فوجئ المسلمون بخيانة يهود بني قريظة لهم، ومحالفتهم لعدوهم، فأصبح جيش المسلمين في حرج كبير لانكشاف ظهره، وهنا ساق الله تعالى لهم فرجا ومخرجا بحيلة لنعيم بن مسعود فخرجوا من أزمتهم، وبقي الجيش المشرك متربصا، حتى أجلاه الله . عز وجل . بريح شديدة سخرها عليهم فكانت نهاية المعركة، وكفى الله المومنين القتال.

وتلاها صلى الله عليه وسلم بغزوة بني قريظة في شهر ذي القعدة للعام الخامس الهجري وأجلاهم عن المدينة.

حادثة الإفك

تلمست السيدة عائشة رقبتها فلم تجد عقدا كانت أختها قد أعارتها إياه، وكانت في صحبة رسول الله . صلى الله عليه وسلم . في غزوة بني المصطلق، وتذكرت عائشة اين فقدته، فتركت الجيش وذهبت تلتمسه، ولكنها حين عادت به لم تجد من جيش المسلمين أحدا، وإذا القوم قد ساروا بهودجها دون أن يقطنوا إلى انها ليست به! وقررت السيدة عائشة أن تبقى بهذه المنازل حتى يكتشفوا غيابها فيعودوا لاصطحابها، وغلبتها عيناها فاستسلمت للنوم، لكنها افاقت على صوت صفوان بن المعطل، وكان تأخر عن الجيش، يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، زوجة رسول الله؟ وأناخ صفوان ناقته، فركبت السيدة عائشة، وسار بها دون أن يكلمها، حتى قدم بها على الجيش في نحر الظهيرة، ووجد رأس المنافقين ابن أبي في هذه الحادثة البريئة فرصة ليلوث ذيل أم طاهرة من أمهات المؤمنين.

طاحنة، ألمت برسول الله . صلى الله عليه وسلم . كما أصابت زوجته الطاهرة وكانت نهايتها آيات من الله . عز وجل . نزلت من فوق سبع سماوات تعلن براءة عائشة، وتفضح رأس المنافقين وحاشيته اللئيمة.

وقعة أوصلح الحديبية

إن وقعة الحديبية . التي تمثل فاصلا لمرحلة جديدة في السيرة النبوية . قد بدأت برؤيا للنبي . صلى الله عليه وسلم . أنه يعتمر مع أصحابه، وما إن أخبر الرسول . صلى الله عليه وسلم . صحابته بذلك، حتى شرع المسلمون في التحرك إلى مكة، ولم تقبل قريش بادئ الأمر فكرة أن للمسلمين كغيرهم الحق في زيارة البيت، فتجهزت للصد عن المسجد، ومحاربة النبي ومن معه، ولكنه . صلى الله عليه وسلم . وقد خرج معتمرا لا محاربا، قام بتبديل الطريق، وتجنب اللقاء، ورأت قريش أن تلجأ للمفاوضات، لصرف النبي . صلى الله عليه وسلم . ومن معه، فتتالت وساطات بديل بن ورقاء، ومكرز بن حفص، والحليس بن علقمة، ثم وساطة عروة بن مسعود، لكن دون جدوى، وهنا عن لفتية قريش أن يقوموا بمحاولة طائشة لإنهاء هذا الأمر بالقوة، غير أن المسلمين أعادوهم بخفي حنين، ثم بعث النبي . صلى الله عليه وسلم . عثمان بن عفان سفيرا إلى قريش، فاحتبسته قريش، وأشيع أنه قتل، فما كان من النبي . صلى الله عليه وسلم . إلا أن بايع من معه على القتال حتى الموت، في بيعة سميت ببيعة الرضوان، وأسرعت قريش بفض هذه الأزمة، وبإرسال سهيل بن عمرو وسيطا جديدا بينها وبين محمد . صلى الله عليه وسلم . وتمت المعاهدة، وقبل أن تتم كتابتها، طالب سهيل برد أبي جندل إليه، حسب بنودها، فرده . صلى الله عليه وسلم . لكنه التزاما بكلمات المعاهدة، أبى أن يرد المهاجرات، وقد حزن المسلمون، وخاصة عمر، لشعورهم بفوات العمرة، وانعدام العدل في بنود المعاهدة، لكنه . صلى الله عليه وسلم . أمرهم بالنحر والحلق، حتى يعودوا، لقد دارت الأيام لتثبت للجميع مقدار المصلحة في هذه المعاهدة، وجرى حكم الله . عز وجل . بانتهاء أزمة المستضعفين الذين لم يكن باستطاعتهم الذهاب إلى المدينة حسب الاتفاق المهور، وقد تليت هذه المعاهدة بإسلام أبطال من قريش، كإشارة ربانية لبداية فجر جديد.

ولكن قريشا غدرت بعهدها، فنقضت صلح الحديبية فأنزل الله تعالى هذه الآيات:

بسم الله الرحمان الرحيم، (إنا فتحنا لك فتحا مبينا، ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما وينصرك الله نصرا عزيزا) ففرح المسلمون واستبشروا لما في هذه الآيات من رضوان إلهي على نبيه، وبشرى من الله بفتح مبين، ونصر عزيز وهدى، ونعمة وغفران.

مكاتبة الملوك والأمراء

ما إن أمن المسلمون حرب قريش، حتى دبت أقدامهم في أنحاء الأرض، تحمل رسالة رب العالمين إلى العالمين، ورسول الله . صلى الله عليه وسلم . يعلم أن رسالته ستصل إلى قوم، الشكل عندهم يسبق المضمون، ولذا فقد اتخذ لنفسه خاتما من فضة، جعل نقشه "محمد رسول الله"، وانتقى صلى الله عليه وسلم . من صحابته أهل المعرفة والخبرة، ليرسلهم إلى ملوك العالم فسعوا بكتبه إلى النجاشي، والمقوقس، وإلى كسرى، وقيصر، وإلى المنذر بن ساوى، وهوذة بن علي، والحارث بن أبي شمر، وكذلك إلى ملك عمان، فأصاب كل من خير الإسلام مايحسب ما هو أهل له.

■ الأستاذ: محمد الخضر الريسوني

سلوكيات المسلم في رمضان

■ يتميز شهر رمضان بكونه فرصة للمسلم الصائم ليكون سلوكه سواء بين أهله وأسرته أو وسط مجتمعه في الشارع وفي السوق وفي مكان عمله متميزا ورفيعا من الأخلاق الإسلامية والآداب الحسنة ، ولذا لا يقبل منه أبدا، أن تظهر سلوكياته وقد شابتها بذاءة اللسان وغش الناس والكذب.

ومن الغريب المشين أنه في اليوم الأول من رمضان ترتفع أصوات الغضب في الأسواق والأماكن المزدحمة بالمارة والسيارات ، وتصدر الكلمات النابية التي تمس العقيدة في الصميم ، والعقلاء الصائمون يكتفون بالقول: اللهم إني صائم، فالصوم قبل أن يكون مجرد الإمساك عن الطعام والشراب والشهوات هو قبل كل شيء، سلوك ومعاملات كم من صائم يحبس أنفاسه بالقيام بما يتطلبه شهر رمضان من التردد على المساجد للعبادة والنسك ولكنه في بيته ومع أهله أو مع زبنائه في السوق إنسان مختلف، فهو يتلفظ بالكلمات البذيئة ويرفع عقيرته بالسب والشتم ، أو يجلس في المقهى مع بطانته ليعلنها حربا عشواء على هذا أو ذاك بلسان النميمة والغيبة والتجسس والكلام الفاحش.

إن بعض الشوارع الكبيرة في مدينتنا تنتشر فيها المقاهي كالفطر الضارة وتكتظ بزبنائها ، وخاصة في ليالي رمضان، وينطلق الفتيان والفتيات من مختلف الأعمار إلى مواعد اللقاء في هذه المقاهي. التي لا يقدم أصحابها نصحا ولا فائدة، وإنما يسهرون على ضمان السلامة للقاءات الحميمية بين الرجال والنساء .

وفي ليالي رمضان تتبارى فيما بينها قنوات التلفزيون العربية في تقديم أسخف إنتاجها من الرقص الخليع والمشاهد الفاضحةالتي لايجد الصائم أمامها إلا أن يرفع رأسه إلى السماء متضرعا بالدعاء " حسبنا الله ونعم الوكيل " ولاشيء إطلاقا من البرامج التي تحث المسلم على التمسك بعقيدته والدفاع عن الإسلام والمسلمين في وقت طلع فيه أحد الجنرالات في أمريكا قائلا « إن المسلمين يعبدون وثنا، فلمن إذن، تقدم قنواتنا الإسلامية برامجها إذا لم يكن مضمونها هادفا يصب في خانة العزة والكرامة والدفاع عن الهوية الوطنية والتعريف ببلاد الإسلام شرقا وغربا .. وبالمناسبة وقد انعقد في ماليزيا مؤتمر قمة إسلامي حضرته أربعة وخمسون دولة اسلامية ، ماذا قدمت التلفزتان الأولى والثانية من تعريف لهذا البلد الإسلامي العظيم تاريخا وحضارة وأصالة هل يعرف المشاهدون : أين موقع ماليزيا؟

وفي مراكش كان الاحتفاء بتظاهرة سينمائية لم ينبش فيها أحد المشاركين ببنت شفة بكلمة عربية واحدة مع أن اللغة الأم ببلادنا هي العربية حسب نص الدستور فالكل دابوا على اختبار ملكاتهم وطاقاتهم وتدخلاتهم بلغة غير لغتهم ، وفاتهم أن يعلموا أن شارون وزمرته في إسرائيل الصهيونية يتعصبون أكثر من غيرهم برفع شأن " عبريتهم " وهي اللغة التي كانت ميتة في ماضي الزمان.

إنها هواجس متناثرة، ومع أني خصصتها للحديث عن سلوكيات المسلم في شهر الصوم إلا أن القلم أحيانا، يجمع كالحصان السريع فاضطرني إلى البوح بما أحسه من وخزات النفس وألمي من حالة المجتمعات الإسلامية في تخاذلها وضعفها وهي تستقبل الشهر الكريم الذي يدعوهم للوحدة والائتلاف، ونبذ الفرقة والاختلاف.

إن سلوكيات المسلم في رمضان تدعوه ليكون شريفا طاهرا كأنه ملاك ، قريبا من ربه له في الرسول الأكرم محمد، صلى الله عليه وسلم، الأسوة الحسنة والدرجة الرفيعة في الصدق والإخلاص .

أفضلية مصدري التشريع الإسلامي الرئيسيين تتجلى في منبعها السماوي

■ إعداد الأستاذ: مراد الخروبي

■ يمتاز الدين الإسلامي بكونه الدين الحنيف الذي يتوفر على مرجعين أساسيين هامين من مراجع الشريعة الإسلامية وهما الكتاب والسنة.

وكلاهما يعود منبعه الأصلي إلى الوحي السماوي. فبالنسبة للقرآن الكريم نجد الحق سبحانه يوضح لنا ذلك في عدة آيات بينات من بينها قوله تعالى: "نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين" "إنا أنزلناه في ليلة القدر" "وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم"

أما بالنسبة للسنة النبوية والتي تشمل كما هو معلوم أقوال الرسول وأفعاله وتقريره وكذلك سيرته وخلقه وأخباره وما إلى ذلك من بقية تصرفاته التشريعية فهي بدورها تعتبر المصدر الثاني للتشريع الإسلامي الحنيف.

وأبرز ما تتجلى فيه السنة النبوية نجده متمثلا على وجه الخصوص في الحديث الشريف الذي يوضح مقاصدها وأبعادها والذي يشتمل على المواعظ والنصائح والوصايا وكذا الرد على بعض الأسئلة التي كان يطرحها الصحابة في بعض القضايا الفقهية، والنوازل الطارئة، وبالجملة يستغرق معنى الحديث في مضمونه كل ما نطق به الرسول عليه السلام في مجال العبادات والمعاملات هادفا من وراء ذلك أن يبين للناس أمور الدين، موضحا ما أشكل من قضاياه، مفصلا ما هو مجمل منها. مبين كل مايتعين بيانه، كما أمره ربه بذلك في كتابه المكنون:

(وانزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم)

إطلالة على أهمية الحديث: لا حاجة لبيان أهمية الحديث في مجال توضيح الأحكام لكون ذلك لايحتاج إلى بيان مادام الواقع الفقهي يؤكده أصدق تأكيد على صعيد التشريع.

مع ذلك فلا بأس من إعطاء أمثلة حية في هذا الصدد. فقد جاء في الذكر الحكيم: "وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة" وغير خاف أن هذا الأمر لم يتضمن في حد ذاته بيان مفصل لأوقات الصلاة، ولا لعدد ركعاتها.

ولا مايتعلق به من نية وتكبرة إحرام وقراءة فاتحة ومتى يكون الجهر ومتى يكون السر.

وبالنسبة للزكاة، فقد جاء الأمر القرآني بوجوب إخراجها ثم توالت السنة المحمدية بيان النصاب الذي يتعين بلوغه في الذهب والفضة وأنواع الأنعام والحبوب التي تجب فيها الزكاة... إلخ.

ومقدار الجزء الواجب إخراجه في كل نوع من هذه الأنواع واشتراط مرور الحول على ذلك، ونفس الشيء نجده بالنسبة لفائدة الحديث في بيان باقي أحكام العبادات كالصوم ومايرتبط به من واجبات ومكروهات... إلخ.

وكذا الحج وشعائره "حجوا كما رأيتموني أحج" خذوا عني مناسككم" كما بينت السنة كذلك مقدار زكاة الفطر، وأصناف القطاني التي يجوز إخراجها منها ... إلى ما هنالك من تشريعات تعبدية.

وبهذه المناسبة نشير إلى أن السنة لم تقتصر فقط على مجال العبادات بل تعدتها إلى مجال المعاملات بأشكالها وأنواعها مما يشكل ذخيرة ثمينة تستحق الاعتزاز بها.

وقد اتسمت السنة بالكمال والتمام والاستيعاب والشمولية والقدرة الفائقة على إيجاد الحلول الناجعة لعدة قضايا ونوازل، ولا عجب في ذلك ما دام مصدر السنة يعود بدوره إلى الوحي الإلهي قال تعالى:"وماينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى"

وقد أمر الحق سبحانه وتعالى باتباع نهج الرسول عليه السلام كما حث على اقتفاء سيرته العطرة حيث قال جل وعلا: "وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا" وقوله سبحانه: "لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة".

هذا وقد أوصانا رسول الله صلى الله عليه وسلم بوجوب الأخذ بما جاء في كتاب الله وسنة نبيه.

ومن هنا تتجلى أفضلية مصدري التشريع الإسلامي باعتبار هما منبثقين عن الوحي الإلهي الخالد.

ولقد أتم الله سبحانه وتعالى نعمته على عباده بأن أكمل لهم دينهم وجعل لهم منهج الإسلام قدوة وهداية (اليوم أكملت لكم دينكم، وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا) صدق الله العظيم.

مؤرخ المملكة والصحوة والتوثيقية

المبكرة بالمغرب

(انبعاث أمة نموذجا)

■ عبد الحق عزابي

■ لكل أمة حضارتها ومقوماتها شخصيتها والتوثيق قلبها النابض وذاكرتها المستقبلية الحية وبدونه تضيع الهوية.

ففن التوثيق هو جمع الوثائق الحديثة للدولة وصيانتها وحفظها بالطرق العلمية الحديثة واستيفاؤها لشروط التوثيق من اسم المرسل، والمرسل إليه ، والتاريخ والطابع والإمضاء.

فالوثائق الثابتة الصحيحة هي المادة الخام وحدها الكفيلة بتوضيح الرؤية وكشف الحقيقة وبدونها يصبح التاريخ مجرد تقديرات واجتهادات ويظل المؤرخ أحيانا حائرا أمام واقعة من الوقائع ، أو قضية من القضايا لا يستطيع الحسم فيها ولا يجد لها تبريرا ولا تأويلا، فيحار حينئذ كيف يثبتها وفي أي شكل يعرضها وبأي علة يعللها ، سيما إذا كانت من القضايا الشائكة التي تكونت لها أصداء بعيدة المدى ، عميقة الغور في الرأي العام الداخلي والخارجي . وهو في هذه الحالة يفضل السكوت عنها أو المرور بها مر الكرام.

إن اهتمام الأستاذ عبد الوهاب بنمنصور بفن التوثيق صادر عن اقتناعه بما سلف ذكره واهتمامه بفن التوثيق صادر عن تجربته الطويلة في استقراء الوثائق أزيد من خمسين سنة وكذا اهتمامه بإخراج كتاب (انبعاث أمة) واشرافه عليه أزيد من 48 سنة رغبة منه في التركيز على كتابة التاريخ الحديث المبشر بمدرسة تاريخية مغربية جديدة تبعد الدارس والباحث من كل الإنزلاقات التي تعترض سبيله مستقبلا وبتجربته الطويلة في التاريخ أصبح مؤمنا بأن البحث التاريخي المعاصر الدقيق والملموس وعلى المستوى المحلي بالأساس هو الكفيل بسد تلكم الثغرات التاريخية التي تلاحق كل باحث ودارس .

إن مشاركة عبد الوهاب بنمنصور في الحركة الوطنية ودفاعه عن الملكية والشرعية جعلت منه المؤرخ للأحداث المعاصرة المتصدي للمواقف الخاطئة المدين للسياسات الاستعمارية المعتز بانتمائه لأمته العربية المدافع الصلب عن لغة الضاد.

وبين الأمس واليوم أصبحت حوليات انبعاث أمة مرجعا لا يستغنى عنه مؤرخ ولا سياسي ولا باحث ولا دارس من داخل المغرب وخارجه لأنها تهتم بالتطورات التي يشهدها المغرب في مختلف المجالات منذ استعادة استقلاله.

ومرجعية هذه الحوليات تتأكد يوما عن يوم وخير دليل ما كتب عن جلالة المغفور له الملك الحسن الثاني رحمه الله من كتب ومقالات في مواضيع مختلفة انطلاقا من هذه الموسوعة المعاصرة وعلى سبيل المثال لا الحصر.

. كتاب التربية والتعليم من خلال خطب وكلمات جلالة الملك الحسن الثاني " للدكتور عبد اللطيف الشاذلي.

. المغرب العربي . للأستاذة فاطمة الجامعي الحبابي.

جلالة الملك الحسن الثاني ورعاية الشباب للأستاذ محمد البوسرغيني .

. اللامركزية واللاتمركز للأستاذ أحمد جمجمة.

. الحسن الثاني دراسة في العبقرية للأستاذ محمد الأمين موسى وغيرهم كثير.

إن كتاب انبعاث أمة الذي جعلناه نموذجا للصحوة التوثيقية بالمغرب والتعريف به في هذه المقالة بعجالة الهدف منه هو إثارة انتباه الباحثين والمهتمين بتاريخ المغرب المعاصر لأهمية هاته الموسوعة التي أصبحت مرجعا مهما لمعرفة النشاط الرسمي للبلاد ومادة غنية يمكن استغلالها في كثير من المواضيع سواء كانت سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية أو ثقافية ولسهولة الاستفادة منها التي تكمن في ترتيب زمني للأحداث بالتاريخين الهجري والميلادي مع ذكر مكان الحدث وهنا يكمن كذلك الاعتناء بالتوثيق.

إن هذه الموسوعة المرجعية للأنشطة الملكية اليومية تضم خطبا وتصريحات مرتبطة بكل مظاهر الحياة السياسية في البلاد من افتتاح الدورات التشريعية واستقبال الهيئات السياسية والنقابية والمجالس الوزارية وخطب أخرى مرتبطة بأنشطة دولية كمؤتمرات القمة العربية والإسلامية ولجنة القدس والجمعية العامة للأمم المتحدة وخطب الأعياد الدينية والوطنية وظهائر تعيين أعضاء الحكومات ونصوص اتفاقيات دولية ونصوص دساتير وتدشينات وأحاديث دينية رمضانية وأحاديث صحافية وطنية ودولية وبرقيات وزيارات داخلية وخارجية مع صور فوتوغرافية تسجل للأحداث المذكورة مرفوقة بتعاليق عليها.

إن كتابة التاريخ المعاصر عامل من عوامل الحفاظ على ذاكرة البلاد وترسيخ هويتها وحضارتها ومقومات شخصيتها ربطا للحاضر بالماضي وتدعيما للعلاقة مع جذورنا الحضارية .

وقد صدر عن المطبعة الملكية القسم الأول من الجزء الثامن والأربعين من كتاب " انبعاث أمة" متضمنا أنشطة وأعمال صاحب الجلالة الملك محمد السادس من يناير إلى غاية يوليوز 2003.

وتبلغ صفحات هذا القسم الأول 478 صفحة ، وهو محلى بعدد من الوثائق المهورة بإمضاء جلالة الملك محمد السادس ومزين بعدد آخر من الصور التي تسجل الأحداث المذكورة فيه والذي أضفى عليه بهاءا وجمالاتلكم الصور التاريخية التي تصدر واجهة الكتاب لصاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله يحمل في يديه الكريمتين نجله الشريف الأمير الجليل صاحب السمو الملكي ولي العهد الأمير مولاي الحسن أطال الله بقاءه وأنبته نباتا حسنا وكان ذلك يوم الخميس 8 مارس 2003م (6ربيع الأول 1424هـ) .

ويشرف على هذا السجل الوثائقي الهام كما أشرت سابقا الأستاذ عبد الوهاب بنمنصور مؤرخ المملكة عضو أكاديمية المملكة المغربية، وهو بحق عمل أكاديمي في ميدان التوثيق للتاريخ المعاصر وسابقة في العالم العربي والإسلامي في هذا المضمار.

الفقه المالكي تأصيله وتلقينه في بلاد المغرب

الحلقة الأولى

■ إعداد الأستاذ : محمد المهدي بوزيد

■ يقول ربنا الكريم في كتابه العزيز : (إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون) الآية:32 / سورة الأنبياء.

إن هذه الأمة جعلها الله تعالى أمة واحدة تدين بعقيدة واحدة، وتنهج نهجا واحدا وهو الاتجاه إلى الله دون سواه . وإنها أمة واحدة في الأرض تعبد ربا واحدا في السماء لاإله إلا هو ولا معبود إلا إياه. وقد شبه النبي صلى الله عليه وسلم المؤمنين بأعضاء الجسد الواحد وهو يقول صلى الله عليه وسلم: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تدعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى).

ولم يكن شيء أبغض إلى رسول الله بعد الكفر بالله من اختلاف الناس بينهم والتنازع ولو في الأمور العادية، ولما كان الاختلاف في الفهم والرأي من طباع البشر ، جعل السلف الصالح الاختلاف المذموم في الإسلام ماكان سببا في وقوع التفرقة بين المسلمين، ومن ثم قد منعوا فتح باب الآراء في العقائد وأصول الدين ، وأوجبوا الإعتصام فيها بالمأثور من غير تأويل ، وخصوا الاجتهاد بالأحكام العلمية والمعاملات رغم أن الفقه لم يكن في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم مدونا ولم تكن الأحكام الفقهية خاضعة للبحث ، بل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفذ الأحكام الفقهية القولية عمليا فيقلده الصحابة في حينه ثم ينقلوا ذلك إلى غيرهم حتى أخذه التابعون وبعدهم تابع التابعين إلى أن وصل إلينا ، وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يستفتيه الناس في الوقائع فيفتيهم ، وترفع إليه القضايا فيقضي فيها، ويرى الناس يفعلون معروفا فيمدحه أو منكرا فينكره عليهم . وكان الشيخان أبو بكر وعمر إذا لم يكن لهما علم في المسألة يسألان الناس عن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم ظهر في كل عصر بعض الصحابة والتابعين الذين حملوا هذا العلم وهذه الفتاوي المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن صحابته باعتبارهم حماة السنة النبوية وقد أوصى بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول:(.... عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجد...) وإنجازا لما وعد به نبينا الكريم بقوله (يحمل هذا العلم من كل خلف عدو له) وهؤلاء الخلف هم الذين ظهرت معهم الإختلافات الفقهية التي ترجع إلى نشأة الإجتهاد في الأحكام العلمية والذي يبدأ بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وتوسع لتوزيع الصحابة الكرام رضي الله عنهم في الأمصار والعواصم الإسلامية حيث ظهر الأئمة المجتهدون من تلاميذ الصحابة والتابعين وكثر أتباعهم ودونت مناهجهم وصاروا كبراء قومهم في العلم فنسجوا على منوال شيخهم ولم يدخروا جهدا في تتبع الإيمآت والاقتضاءات في النصوص وخاصة في الأحكام العملية وهي موضوع الفقه والتي منها ما ثبت بالدليل القطعي المجمع عليه كأركان الإسلام وتحريم الفواحش ما يكون التابع له مومنا مسلما وما يكون الجاحد به كافرا والمخالف فاسقا ومنها ماهو محل النظر والاجتهاد وهو الذي وقع فيه الخلاف بين علماء الأمة للاختلاف في رواية النصوص أو في دلالتها أو لعدم العلم بالنص.

ولما بدأت المناهج تتميز بشكل أأوضح ابتداء من القرن الثاني الهجري ظهرت قوانين الاستنباط فاتسع نطاق الاجتهاد تبعا لكثرة الحوادث الجديدة فظهرت مذاهب الأمصار وتكونت المدارس الفقهية على رأس كل مدرسة رجل بارزيلتف حوله تلاميذ يمدهم بالرواية والدراية الفقهية ويدرسهم الواقعات ويبين أحكامها فكان بالكوفة الإمام أبو حنيفة النعمان وكان بالمدينة الإمام مالك بن أنس وبالشام الإمام الأوزعي وبمصر الليث بن سعد ثم جاءت الطبقة الثانية التي برز فيها الأئمة ا لشافعي وأحمد وداود وكل هؤلاء الفقهاء قد فهموا طبيعة الاختلاف وحقيقته واستطاعوا أن يعيشوا مع بعضهم دون عداوة أو انتصار للرأي بل كانوا يرون أن آراء الآخرين إذا كانت أقوى دليلا أخذوا بها ومن ثم ثبت عن أبي حنيفة قوله هذا رأيي وهذا أحسن ما رأيت فمن جاء برأي أفضل منه قبلناه وقال الإمام مالك: إنما أنا بشر أصيب وأخطئ فأعرضوا قولي على الكتاب والسنة . وقال الإمام الشافعي : إذا صح الحديث بخلاف قولي فاضربوا بقولي الحائط.

وهذا يدل على أنهم رضي الله عنهم كانوا يلتزمون بالحق أين ما كان وكانوا يحكمون على آرائهم بالخطإ إذا خالفت الصواب.

ولا أدل على ذلك من أنه " عندما أراد الخليفة أبو جعفر المنصور العباسي أن يحمل الناس على الموطأ قال له الإمام مالك (لا تفعل يا أمير المؤمنين فإن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تفرقوا في الأمصار وأصبح عند كل قوم علم والناس قد سبقت إليهم الأقاويل ورضوا بها فإن حملتهم على رأي واحد تكون فتنة) فرفض الإمام مالك شهرة مذهبه رضا بواقع الناس وإقرار لهم على ماهم عليه حتى لا تحدث فتنة . ومع ذلك لم يبق مذهب الإمام مالك محدودا بين حدود الحجاز بل انطلق في الأفاق يحمله تلاميذ الإمام مالك والوافدون عليه من مختلف أطراف العالم الإسلامي فانتقل إلى بلد مصر وإلى اليمن ثم إلى بلاد العراق فتونس ثم بلاد المغرب والأندلس، وإن حصل الخلاف حول زمن دخوله إلى بلاد الأندلس، هل في عهد الحكم بن هشام بن عبد الرحمان ثالث الخلفاء الأمويين بالأندلس؟ كما جاء في كتاب نفح الطيب للمقري ؟ أم في عهد عبد الرحمان الداخل أو الأمراء الأمويين بالأندلس كما نص على ذلك صاحب كتاب. تاريخ افتتاح الأندلس ؟. وإن حصل الخلاف في ذلك فالإجماع على أن المذهب المالكي استقر بالأندلس في عهد الأمويين وانتقل منها إلى بلاد المغرب في عهد الدولة الإدريسية وقد سبقه من المذاهب الحنفية والخوارج والمعتزلة وغيرها ، ففرضه المولى إدريس الثاني وأجمع الناس عليه وجعله مذهبا للدولة بل وقد أصدر أمره لولاته وقضاته بنشر كتاب الموطأ وإقرائه.

وبذلك استطاع المولى إدريس بن إدريس أن يوحد الناس على مذهب واحد وقضى على التفرقة المذهبية التي كانت سائدة، وذلك مع الدور الفعال الذي قام به جامع القرويين في انتشار هذا المذهب في بلاد المغرب إذ أنه (جامع القرويين) قد قام بخدمته بتخريجه علماء كان لهم الأثر الحاسم في نشر مبادئه بين المغاربة إلى جانب علماء قدموا من المشرق أمثال أبو هارون البصري ، ودراس ابن إسماعيل المتوفى سنة 357 هـ الذي يقال إنه أول من أدخل مدونة سحنون إلى المغرب.

فانتشر المذهب المالكي وذاع بين الناس حتى أصبح مذهبا يعتمد في مرافق الدولة المرابطية التي ناصرته ودافعت عنه ومكنت له وحملت الناس عليه.

ولعل اختيار المغاربة لمذهب الإمام مالك يرجع إلى كونهم يرون فيه مذهب أهل السنة وفقه الصحابة الكرام رضي الله عنهم والتابعين لهم.

ثم إن الإمام مالك قد عرف تمسكه بالكتاب والسنة وتشبثه الدائم بآراء الصحابة والتابعين لهم، وإعجابهم بحسن سريته واستقامة سلوكه ثم للأثر الوارد في شأن عالم المدينة في قوله صلى الله عليه وسلم (يوشك أن يضرب الناس أكباد الإبل في طلب العلم ، فلا يجدون عالما أعلم من عالم المدينة) وقالوا إنه مالك بن أنس.

إلا أن ابن خلدون في مقدمته يرجع هذا الأمر أساسا إلى رحلة المغاربة إلى الحجاز وخاصة إلى المدينة وهي يومئذ دار علم وشيخها هو الإمام مالك، ثم يرجعون إلى المغرب والأندلس مقلدين شيخهم في كل الأمور.

وبذلك يكون المذهب المالكي قد امتد إلى بلاد المغرب على يد تلاميذالإمام مالك الذين تكونت بهم وعلى أيديهم المدرسة المالكية. بل وأصبحوا منظرين في المذهب وقاموا بتفريع المسائل التي أصلها الإمام مالك في الأحكام العملية ولم يكن يهدف إلى تجزيئها أو تفريعها ، فظهرت مؤلفات مهمة في الميدان كالمدونة والواضحة والعتبية أوالمستخرجة ثم الموازية، وغيرها. وهذه تسمى بالأمهات، وقد حصر علماء المالكية المذهب في هذا المصنفات الأربع على الترتيب مع وجود غيرها، ولعلهم يعنون بتقديم هذه الأمهات أنها أشهر ما ألف في المذهب المالكي في مرحلة تأسيس المذهب بعد الموطأ الأصل الأول.

وقبل التطرق إلى تعريف هذه الأمهات لابد من الوقوف على الأصل الذي نهلت منه وهو موطأ الإمام مالك بدءا بصاحبه.

❖ وهو مالك بن أنس بن أبي عامر بن عامر بن الحارث المدني ، ولد عام 93 هـ على أشهر الأقوال (مع اختلاف عند الرواة في سنة الميلاد بين 93 و79 هجرية) وتوفي سنة 197 هـ نشأ في بيت علم وصلاح فأبوه أنس وكذلك عماه ربيع ونافع كانوا علماء ، أما جده فهو من كبار التابعين يروي عن عمر بن الخطاب وعن عثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله.

رسالتان لأهل المغرب من المولى إدريس الأكبر يدعوهم فيها لنصرته

■ أبو بكر

أثبت مؤرخ المملكة العلامة عبد الوهاب بن منصور في الجزء الأول من الوثائق الصادرة عن مديرية الوثائق الملكية الصادر سنة 1976 بحثا قيما للعلامة المرحوم علال الفاسي تحت عنوان « "المولى إدريس الأكبر" ، وثيقة تاريخية عن دعوته لم تنشر قط، ولم تعرف لدى الذين كتبوا عنه من المغاربة» استقاها من مخطوط لأحد أئمة الزيدية باليمن، على أن نقدم لاحقا بحول الله دراسة للأسباب التي دفعتنا إلى نشر الرسالتين.

بسم الله الرحمان الرحيم

الحمد لله الذي جعل النصر لمن أطاعه ، وعاقبة السوء لمن عانده ، ولا إله إلا الله المتفرد بالوحدانية ، الدال على ذلك بما أظهر من عجيب حكمته، ولطف تدبيره ، الذي لا يدرك إلا إعلامه ، وصلى الله على محمد عبده ورسوله، وخيرته من خلقه، أحبه واصطفاه، واختاره وارتضاه، صلوات الله عليه وعلى آله الطيبين.

أما بعد، فإني أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وإلى العدل في الرعية والقسم بالسوية ، ورفع المظالم ، والأخذ بيد المظلوم، وإحياء السنة وإماتة البدعة، وانفاذ حكم الكتاب على القريب والبعيد ، واذكروا الله في ملوك غيروا ، وللأمان خفروا، وعهد الله وميثاقه نقضوا ، ولبني بيته قتلوا، واذكركم الله في أرامل احتقرت، وحدود عطلت ، وفي دماء بغير حق سفكت ، فقد نبذوا الكتاب والإسلام، فلم يبق من الإسلام إلا اسمه ، ولا من القرآن إلا رسمه واعلموا عباد الله أن مما أوجب الله على أهل طاعته ، المجاهدة لأهل عداوته ومعصيته باليد وباللسان ، وباللسان الدعاء والى الله بالموعظة الحسنة، والنصيحة والحضر على طاعة الله، والتوبة عن الذنوب بعد الإنابة والإقلاع والنزوع عما يكرهه الله، والتواصي بالحق والصدق ، والصبر والرحمة والرفق ، والتناهي عن معاصي الله كلها ، والتعليم والتقديم لمن استجاب لله ورسوله حتى تنفذ بصائرهم وتكمل ، وتجتمع كلمتهم وتنتظم، فإذا اجتمع منهم من يكون للفساد دافعا ، وللظالمين مقاوما وعلى البغي والعدوان قاهرا أظهروا دعوتهم ، وندبوا العباد إلى طاعة ربهم ، ودافعوا أهل الجور عن ارتكاب ما حرم الله عليهم، وحالوا بين أهل المعاصي وبين العمل بها، فإن في معصية الله تلفا لمن ركبها ، وإهلاكا لمن عمل بها، ولا يؤيسنكم من علو الحق واضطهاده؟ قلة أنصاره ، فإن في ما بدا من وحدة النبي صلى الله عليه وسلم والأنبياء الداعين إلى الله قبله، وتكثيره إياهم بعد القلة، واعزازهم بعد الذلة ، دليلا بينا، وبرهانا واضحا ، قال الله عز وجل « ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة» وقال تعالى: «ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز ، فنصر الله نبيه وكثر جنده، وأظهر حزبه ، وأنجز وعده ، جزاء من الله سبحانه وثوابا لفضله وصبره وإيثاره طاعة ربه ورأفته بعباده، ورحمته وحسن قيامه بالعدل والقسط في تربيتهم ومجاهدة أعدائهم وزهده فيهم، ورغبته فيما يريده، ومواساته أصحابه ، وسعة أخلاقه ، كما أدبه الله وأمر العباد باتباعه ، وسلوك سبيله والاقتداء بهدايته واقتفاء أثره، فإذا فعلوا ذلك أنجز لهم ما وعدهم ، كما قال عز وجل « إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم».

قال تعالى: « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان».

وقال» إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي».

وكما مدحهم وأثنى عليهم ، كما يقول « كنتم خير أمة أخرجت للناس، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتومنون بالله» ، وقال عز وجل: « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ، وفرض الأمر بالمعروف وأضافه إلى الإيمان والقرار لمعرفته ، وأمر بالجهاد عليه، والدعاء إليه، قال تعالى « قاتلوا الذين لا يومنون بالله ولا باليوم الآخر، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ، ولا يدينون دين الحق.».

وفرض قتال المعاندين على الحق ، والمعتدين عليه وعلى من آمن به وصدق بكتابه حتى يعود إليه ويفيء كما فرض قتال من كفر به وصد عنه حتى يومن به ويعترف بشرائعه ، قال تعالى» وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله ، فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين».

فهذا عهد الله إليكم ..، وميثاقه عليكم، بالتعاون على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان، فرضا من الله واجبا ، وحكما لازما، فأين عن الله تذهبون؟ وأنى توفكون؟

وقد خانت جبابرة في الأفاق شرقا وغربا، وأظهروا الفساد وامتلأت الأرض ظلما وجورا ، فليس للناس ملجأ ولا لهم عند أعدائهم حسن رجاء، فعسى أن تكونوا معاشر إخواننا من البربر اليد الحاصدة للظلم والجور، وأنصار الكتاب والسنة، القائمين بحق المظلومين ، من ذرية النبيئين، فكونوا عند الله بمنزلة من جاهد مع المرسلين، ونصر الله مع النبيئين.

واعلموا معاشر البربر أني أتيتكم ، وأنا المظلوم الملهوف، الطريد الشريد و الخائف الموتور الذي كثر واتره ، وقل ناصره، وقتل اخوته، وأبوه وجده، وأهلوه ، فأجيبوا داعي الله ، فقد دعاكم إلى الله، فإن الله عز وجل يقول « ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض وليس له من دونه أولياء ». أعاذانا الله وإياكم من الضلال ، وهدانا وإياكم إلى سبيل الرشاد.

وأنا إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورسول الله وعلي بن أبي طالب جداي، وحمزة سيد الشهداء وجعفر الطيار وفي الجنة عماي، وخديجة الصديقة وفاطمة بنت أسد الشفيقة جدتاي ، وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفاطمة بنت الحسين سيد ذراري النبيئين أماي ، والحسن والحسين ابنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إبواي ، ومحمد وإبراهيم ابنا عبد الله المهدي والزاكي أخواي.

هذه دعوتي العادلة غير الجائرة، فمن أجابني فله ما لي ، وعليه ما علي، ومن أبى فحظه أخطأ ، وسيرى ذلك عالم الغيب والشهادة أني لم أسفك له دما ، ولا استحللت محرما ولا مالا، وأستشهدك يا أكبر الشاهدين وأستشهد جبريل وميكائيل إني أول من أجاب وأناب ، فلبيك اللهم لبيك مزجي السحاب، وهازم الأحزاب ، مصير الجبال سرابا ، بعد أن كانت صما صلابا ، أسألك النصر لولد نبيك، إنك على كل شيء قدير والسلام.

وصلى الله على محمد وآله وسلم.

ميثاق
الرابطة
صحيفة أسبوعية جامعة
العدد 1040
السنة 36
الجمعة 5 رمضان 1424 هـ
الموافق 31 اكتوبر 2003 م

المدير المسؤول:
الأمين العام بالنيابة
الشيخ ماء العينين
لارباس

مدير النشر:
إدريس كرم

رئيس التحرير:
محمد الخضر الريسوني

التحرير:
محمد القاضي
مصطفى ودادي

الثمن:3 دراهم

الاشتراكات السنوية
داخل المغرب: مائة وخمسون درهما
رقم الإيداع القانوني: 1994/160
الترقيم الدولي:ISSN: 4348

عنوان البريد الالكتروني:
rabitat @iam.net-ma
موقع الانترنيت
www.rabitat. ma

الحساب البنكي:25201015549.01
وكالة بنك الوفاء-حي أكدال -
الرباط

التصفيف والإخراج الفني:
ميثاق الرابطة
العنوان:107- شارع فال ولد عمير.
رقم 7- أكدال - الرباط
الهاتف: 51 03 67 037
الفاكس: 93 45 67 037
السحب:
مطبعة نداكوم - الرباط- المغرب

ترتيب المواد لا يخضع إلا
للمقتضيات الصحافية والتقنية

الإسلام في المغرب

(2/2)

■ إعداد الأستاذ:المرحوم عبد الله كنون

■ والكلام على الإسلام في المغرب يدعونا للإشارة إلى ما كان للدولة المغربية من الحرص على شعائر الإسلام وإظهارها والحكم بشريعته والتزامها في الشؤون العامة والخاصة ، ولا ننسى اليد البيضاء التي كانت للأدارسة في مقاومة ضلال البرغواطيين وللمرابطين في نشر الإسلام بالقارة الإفريقية وحماية الأندلس من السقوط في القرن الخامس الهجري ، والحروب الطاحنة التي واجهوا بها الحملات الصليبية على مختلف الجبهات في المغرب كمعركة وادي المخازن وفي الأندلس كوقعة الزلاقة والأرك وغيرهما.

أما دور المعاهد الدينية وعلى رأسها جامعة القرويين التي تعد اليوم أقدم جامعة في العالم ، فإن جهود علمائنا في نشر العلم ورفع رايته جعلتها كعبة القصاد من أقاصي البلاد . كان عدة علماء مغاربة من أساتذة جامعة القرويين وغيرها من المعاهد العلمية المغربية في مراكش وسبتة ينشرون العلم ويؤخذ عنهم بمثل ما كان علماء الأندلس يفعلون في المغرب ، ومنهم يحيى بن يحيى الليثي راوي موطأ الإمام مالك مباشرة عن الإمام . والأمر بالنسبة إلى إفريقيا الغربية بالخصوص أكبر وأشهر، فبواسطة بعثاتها الطلابية إلى القرويين انتشر مذهب مالك فيها وعلوم العربية والخط المغربي وقراءة القرآن برواية ورش عن نافع.

وكذلك الطرق الصوفية التي نشأت في المغرب لها أتباع كثيرون في هذه الأقطار ، وتقوم بربط علاقات متينة بين السكان هنا وهناك ، وكثيرا ما تكون حافزا لتبادل الزيارات وشد الرحلة إلى مقامات أصحابها للتبرك وتجديد العهد . فالمغرب المسلم له دور رائد في القارة الإفريقية دينيا وعلميا وسياسيا كذلك ، وهكذا لما ظهرت حركة المقاومة للاستعمار والمطالبة بالاستقلال في المغرب كان لها صدى بعيدا في أقطار إفريقيا وارتجت شعوبها وتراخت العلاقة التي كانت تربطها بفرنسا وما كان يسمى بفرنسا وما وراء البحار ، والوزارة المختصة به أصابها الوهن وانحلت تلقائيا ، لأن المغرب وهو القدوة المتبعة فيها ثار على التبعية لفرنسا وضرب بعقد الحماية عرض الحائط، وكان استقلاله إيذانا باستقلال إفريقيا فتتابع الاعتراف بحرية تلك الشعوب . وخروجها من ربقة الرق التي ترزح تحتها زمنا طويلا.

ولا جدال في أن هذه الريادة الإسلامية التي يتمتع بها المغرب في الوسط الإفريقي ، هي التي كانت تجلب له عدة مشاكل وتعرضه للمؤامرات التي ترمي إلى إضعافه وكسر شوكته والتقليل من مكانته الدولية ، ففي المجال الديني كانت مؤامرة السياسة البربرية وما تهدف إليه من فصل البربر عن الحكم بالشريعة الإسلامية، ومنع تعليم العربية في المدارس المنشأة بالأقاليم البربرية إنما يراد بها تقسيم المغرب إلى مناطق عربية وأخرى بربرية والتضريب بين العنصرين عملا بقاعدة فرق تسد ، وقد كان التصميم الذي وضع لتلك السياسة يمهد لجعل البربر خاضعين للحكم الفرنسي المباشر ويحارب في نفس الوقت الدين الإسلامي ويعمل للقضاء عليه، وقد فوتت الحملة العارمة التي شنت على هذه السياسة وأفشلتها ، فرصة لقيام حرب صليبية في القرن العشرين تشهرها فرنسا اللائيكية ، وكان فشلها دليلا على أن الإسلام مهما كان الحال ما يزال يملأ الساحة برغم الاستعمار وسيطرته على إفريقيا.

وفي المجال الديني أيضا فشلت حملات التنصير التي كانت تعمل في كل مكان من مجاهل إفريقيا وتنفق بلا حساب على تكوين مراكز التبشير بالنصرانية مما يمولها به أغنياء أوروبا والمنشآت الإدارية والمالية في عواصم الغرب، مدعين أنهم يقومون بإنقاذ الوثنيين ونشر المسيحية بينهم وهم لا يقصرون حركتهم على الوثنيين، ففي المغرب الرائد الإسلامي وموطن جامعة القرويين ، كان لهم نشاط ملحوظ في المدن والقرى ومراكز في صميم بلاد البربر وجبال الأطلس يستضيفون فيها الطلبة ويمكنونهم من الإقامة بها للمطالعة والمذاكرة وتلقين العقيدة المسيحية والطعن في الإسلام. ولكن بعد الاستقلال تمكنت الحكومة المغربية من إغلاق هذه المراكز وطرد أصحابها إلى حيث لا رجعة، وكان لهذا العمل أثره في خمود الحركة التنصيرية أو توقفها بالمرة ، لاسيما لما ظهر أن أولئك القائمين بها كانوا يستغلون الإعانات المالية المتدفقة عليهم لأنفسهم ولمصالحهم الخاصة ، فافتضحوا ونضبت موارد التبرعات.

وفي المجال السياسي عامل الاستعمار الأوروبي المغرب بما لم يعامل به أي قطر آخر ، إذ قسم المغرب إلى ثلاث مناطق : منطقة تخضع لحماية فرنسا وهي المغرب الكبير الذي يضم عواصم فاس ومراكش والرباط التي يقيم بها الملك ولم تكن عاصمة من قبل، ومنطقة تخضع للحماية الإسبانية وهي تقع في الشمال وتشمل تطوان والعرائش والقصر الكبير وبلاد الريف إضافة إلى منطقة الساقية الحمراء ووادي اذهب في أقصى الجنوب . ومنطقة دولية وهي مدينة طنجة.

لقد تمكن المغرب والحمد لله من القضاء على هذه العوامل التي كادت تفضي إلى محو كيانه الدولي وإسدال الستار على وجوده السياسي ، وفي ذلك إنهاء لدوره الحضاري وإطفاء لإشعاعه الإسلامي وما كان يقوم به في إفريقيا من ريادة علمية ودينية طالما سدت في وجه دعوات التغريب والتنصير الأبواب.

... والآن يحسم المغرب المستقل الموقف سواء في الميدان الروحي أو الزمني ويحصن المجتمع المسلم في القارة بإعلان الإسلام دينا رسميا للدولة والتزام مذهب أهل السنة والجماعة ومد يده إلى مختلف البلاد الإسلامية معززا وحدتها وصحوتها بالمؤتمرات العامة التي دعا إليها، وبإنشاء المؤسسات العلمية والاقتصادية والاجتماعية ووضع القوانين والتشريعات لحمايتها وحسن استثمارها.

وما المجلس الإسلامي الأعلى الذي يترأسه جلالة الملك بنفسه ويضم عدة مجالس إقليمية للعمل الدؤوب الدائم إلا واحد من هذه المؤسسات التي تعلق عليها أكبر الآمال بتوفيق الله عز وجل.

القاضي عياض، المدارك، ترجمة شبطون، ويحيى بن يحيى الليثي، وعبد الله بن أبي زيد . ط . بيروت ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ط. مصر الأولى .ج.2.ص 37 ؛ع. المراكشي، المعجب .ط . مصر،ص:245 وما بعدها ، ابن أبي زرع القرطاس، ط. فاس الحجرية ، ع. ابن خلدون ، كتاب العبر ،ج6.ط المصرية القديمة ، أ. الناصري . الاستقصا،1:50.55.51 الطبعة الأولى ، مصر

معلمة المغرب

كتاب صدر

صدر عن المجلس العلمي بطنجة كتاب تحت عنوان دور القرآن الكريم بالمغرب وأثرها في الاشعاع الديني والحضاري

هو عبارة عن ندوة في الموضوع شارك فيها كل من الاساتذة: محمد كنون الحسني، ومحمد التمسماني وعبد الصمد العشاب وعبد العزيز العيادي وعبد السلام شقور ومحمد الحبيب التجكاني والعربي بوسلهام وحسن العلمي وأحمد التوزاني. وقدسلط الضوء فيها على المجتمع المغربي والقرآن والتعليم العتيق ببادية الشمال والأخلاق الإسلامية في المدارس العتيقة ودور القرآن في مواجهة التحديات الجديدة والتعليم الشرعي في دور القرآن الواقع والآفاق.

والكتاب غني وقيم لا في الميدان التاريخي ولا في مجال التوثيق خاصة في جهة طنجة.